براءة آدم

حقيقة قرآنية

تأليف
السيد جعفر مرتضى العاملي

فهرس المطالب

- حديث شريف
- مقدمة الطبعة الثانية
- تقديم، وتمهيد
- الطبل الأجوف
- مواجهة الانحراف
- الرؤية الصحيحة
- آيات معصية آدم (عليه السلام)
- القرآن.. وترشيد الفكر البشري
- هذا البحث
- رجاء.. ودعاء

آيات بيّنات..

- الآيات الكريمة

الفصل الأول: ممهِّدات

- مهرب ومسرب
- لا أوامر مولوية قبل التشريع
- الإلزام لا يتوقف على التشريع
- خلاف الأولى
- قبل الدخول في التفاصيل

الفصل الثاني: إلى الجنة

- أيَّة جنة؟!

- آدم (عليه السلام) خلق للأرض
- الأقرب إلى القبول
- نسيان النهي، أم نسيان الميثاق؟!
- إبليس يذكّر آدم (عليه السلام) بنهي الله له
- عالم الذر، وخلق الأرواح

الفصل الثالث: الوصايا الإلهية لآدم (عليه السلام)

- إبهام.. ودقة في التحديد
- لماذا الإبهام.. ولماذا الدقة؟!
- الإبهام والدقة في تحديد العدو
- إشكال.. وجوابه
- مستوى معرفة آدم (عليه السلام) بإبليس
- إبليس يظهر بأي صورة شاء
- البيان المتجانس
- لماذا الإبهام؟
- طموحات النبي آدم (عليه السلام)
- رغداً
- تعهدات حول مستقبل النبي آدم (عليه السلام) في الجنة
- الأكل من الشجرة.. ظلم
- ظلمنا أنفسنا: كيف؟!

الفصل الرابع: إبليس..وآدم (عليه السلام) ..والشجرة..

- هدف إبليس
- إبليس يتخفَّى
- الله يريد إظهار عظمة آدم (عليه السلام)
- مهمات إبليس
-

حوار افتراضي

- المبرر المعقول والمقبول
- الآية لا تنافي هذه الرواية
- التقية في رواية ابن الجهم
- اجتهاد النبي آدم (عليه السلام)
- قيمة رواية ابن الجهم
- رواية أخرى تطرح حلاً آخر للإشكال
- الجمع بين الروايتين
- عود على بدء
- أمثلة للتوضيح

الفصل الخامس: وسائل الإقناع..

- العروض الإبليسية

1 . النبي آدم (عليه السلام) ..والملك

2 . لا يبلى

3 . الملائكة

4 . الخلود في طاعة الله

- التوديد في عروض إبليس، لماذا؟.
- اندفاع آدم (عليه السلام) طبيعي
- لو لم يأكل من الشجرة لاستحق الطرد الإلهي
- إحتياطات ضرورية
- المقاسمة تفوض الأكل من الشجرة
- الشيطان أم إبليس
- لو لم يأكل آدم (عليه السلام) من الشجرة!!
- اللحظة الفاصلة

الفصل السادس: أباطيل..وأقاويل..

- لا يوجد سوء ظن بالله
- نجاح مخطط إبليس
- جنس الشهوة أم شخصها؟
- لماذا لا يحتاط النبي آدم (عليه السلام)

الفصل السابع: هبات وعوائد إلهية..

- الإنتظار المر
- الجائزة الكبرى للناجحين
- معنى الاجتباء
- النبي آدم (عليه السلام) يتلقى الكلمات

1 . دلالات قوله تعالى {فَتَلَقَّىٰٓ}

2 . التلقي للكلمات كان: {مِن رَّبِّهِۦ}..

3 . عظمة الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام)

. الكلمات ليست مجرد قراءة دعاء

4 . العلامة الطباطبائي (رحمه الله) ، يؤيد ويؤكد

الفصل الثامن: آثار.. ونتائج..

- ذاقا.. أكلا.. أزلهما عنها
- السوءات؟!
- ينزع عنهما لباسهما
- مناقشة كلام الطباطبائي (قده)
- ناداهما.. تلكما
- هبوط إبليس
- هبوط النبي آدم (عليه السلام) في الأحاديث الشريفة
- اهبطا..واهبطوا
-

هدايتان

الفصل التاسع: العصيان..والغواية..والتوبة..والمغفرة..

- الغواية، ضد الرشد لا ضد الضلال
- العصيان ليس هو التمرد
- توبة آدم (عليه السلام)
- التوبة عند العلامة الطباطبائي (رحمه الله)
- المغفرة

الفصل العاشر: الحسد والمحسودون في الروايات

- روايات تحتاج إلى إيضاح
- وقفات مع الروايات
- آدم (عليه السلام) من الظالمين
- الحسد لأهل البيت (عليهم السلام)
- الحسد المنهي عنه
- السؤال ما قبل الأخير
- آخر سؤال

- كلمة أخوة
- المصادر والمراجع

حديث شريف

قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدثني بكر بن صالح الرازي، عن سليمان بن جعفر الجعفري..

قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول لأبي: ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟..

قال: إنه خالي.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله تعالى ويحده، والله لا يوصف. فإما جلست معه وتركتنا، وإما جلست معنا وتركته.

فقال: إن هو يقول ما شاء، أي شيء علي منه إذا لم أقل ما يقول؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام: أما تخافن أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحقت خيل فرعون موسى عليه السلام تخلف عنه ليعظه، وأدركه موسى وأبوه فاغمه حتى بلغا طرف البحر فغرقا جميعاً، فأتى موسى الخبر، فسأل جبرئيل عن حاله، فقال له: غرق رحمه الله ولم يكن على رأي أبيه، لكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع!. [1].

---

(1) راجع: أمالي المفيد ص112 ولاحظ أصول الكافي ج2 ص 375.

مقدمة الطبعة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب [واءة آدم] عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام، وهي تشتمل على كثير من الإيضاحات، والتصحيحات، والإضافات، في مختلف الموارد.. ولكنها لم تصل إلى حد العدول عن النظرة الأساسية التي سجلت في الطبعة الأولى.. بل هي تدخل في سياق تأكيدها..

وفي جميع الأحوال نقول:

إنه لو لم يكن من نتائج هذا البحث إلا أنه استطاع أن يقدم هذه القضية بنظرة أخرجها من دائرة الإنحصار في اتجاه واحد لكفى، فكيف إذا كان قد أسهم في رسم معالم هذا الحدث، وملامحه، بصورة تقترب من الوضوح التام، في مختلف عناصرها، ومكوناتها الضرورية التي تفيد في إقناع كل من يستغرق في شبهات كثيراً ما تؤدي به إلى الطعن في عصمة النبي آدم صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وآله..

وهو يظهر بما لا مجال معه لأي شك أو شبهة أن هذه القضية إنما هي من جملة ابتلاءات الأنبياء، التي أراد الله من خلالها أن يظهر مكنونات ضمائرهم، وحقيقة وشرف معادنهم وعناصرهم، ومدى صفاء جوهرهم، ليقيم بذلك الحجة على الناس، ولتتمثل لهم الأسوة والقدوة، بأجلى وأتم حالاتها، وليبين لهم حقيقة مقاماتهم، وأن الله قد اصطفاهم واجتباهم استحقاقاً منهم لذلك، وتفضلاً منه عليهم.

كما **{.. ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}**[1] . واستحق النبيّ إبراهيم عليه السلام أن يعرف من اسم الله الأعظم ثمانية أحرف[2] ..

وامتحن الله النبي آدم (عليه السلام)، فنجح وأفلح، واصطفاه الله، واجتباه، واستحق أن يعرف من إسم الله الأعظم خمسة وعشرين حرفاً.. كما ورد في الروايات لأنه رضي أن يتخلى عن كل شيء من الملذات والنعم، والسعادات، ويتحمل كل أنواع المتاعب، والمصائب، والبلايا الدنيوية، في سبيل أن يكون في مقامات القرب والزلفى، في المحل الأعلى، مع محمد وأهل بيته الطاهرين..

---

(1) الآية 124 من سورة البقرة.

(2) ولعل لهذه الأحرف آثاراً في مجالات التصرف المختلفة التي يراد، أو يفترض في كل نبي أن يتصدى لها، وليس بالضرورة أن يكون لهذه الأحرف علاقة بسعة علم النبي المعطاء له، كما أنها لا علاقة لها بأفضليته، إذ لا شك في أفضلية النبي إبراهيم عليه السلام على سائر الأنبياء، ما عدا نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، فضلاً عن أن يمكن أن يكون لبعض الأحرف إحاطة وسعة بحيث تشمل غيرها من الأحرف على غرار الأسماء الإلهية، فإنها رغم بلوغها تسع وتسعين اسماً، فإن العلماء ردوها إلى سبعة، واعتبروا هذه السبعة هي أجل الأسماء، والباقي مندك تحتها، والله أعلم.

هذا..ولا بد لي من شكر الإخوة الأعزاء الذين لم يبخلوا علي بملاحظاتهم، وبتأييدهم وبآرائهم، فشكر الله سعيهم، وسدد على طريق الخير والهدى والصلاح خطاهم..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

حرر بتاريخ 18 شهر رجب 1424 للهجرة..

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

عامله الله بلطفه وإحسانه..

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً)

الصفحة 10

الصفحة 11

تقديم، وتمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

فإن في حياة الشعوب والأمم أفراداً وجماعات، قضايا حساسة وأساسية ينطلق منها وعيها، ويقوم على أساسها التكوين الفكري والإيماني، ثم العاطفي لها، بل هي تلامس جوهر فطرة تلك الشعوب، فتثير كوامنها، أو تكون سبباً في إلحاق أنواع من الأذى بها.

ولأجل ذلك لا بد من توخي الحذر، وعدم المبادرة إلى إلقاء الكلام في تلك القضايا، على عواهنه، وبصورة مرتجلة، ومن دون تدبر، وتأمل وتثبت.. بل لا بد من استحصاف الرأي، واستكناه الأمور بروية وبصيرة، وبصدق وأمانة..

وإن أخطر هذه القضايا وأشدها حساسية في الإسلام، هي قضايا الإيمان والاعتقاد، خصوصاً ما يرتبط منها بالأنبياء، والأئمة الأصفياء، الذين هم الأسوة والقدوة، والذين لكل شيء يرتبط بهم تأثيره العميق جداً في بناء شخصية الإنسان، وفي تكوين خصائصه الإنسانية والإيمانية، وفي تبلور مزاته في مختلف جهات وجوده.

الصفحة 12

الطبل الأجوف:

غير أنك قد تواجه في حياتك من يدعي المعرفة، ويتاجر بها، ويبيع ويشتري ويهب ويمنح من ألقابها ما شاء لمن شاء.

ويا ليته يكتفي برفع شعاراتها، ولوك عباراتها، بل هو يتعدى ذلك إلى حد التطاول على رموزها، ثم إلى أن يقنع نفسه بأنه هو طليعة روادها، وغاية جهدها وجهادها، فيبادر إلى طرح آرائه السقيمة، وأفكاره العقيمة في كل اتجاه. حتى في قضايا الإيمان والاعتقاد..

فإذا رجعت إليها وإليه، فلن تجد أمامك إلا ألعوبة تحركها أيد في الظلام، أو أضحوكة لا تعرف خفاياها لأن الناس نيام، فهو ينعق بما لا يسمع، كالطبل الأجوف، له صوت عال، وجوف خال. لا يرجع في دعاويه إلى أساس، ولا يعتصم بركن وثيق،

بل يرتجل الرأي، ويلقي الكلام على عواهنه، فيخطىء المرمى، ويقع في المتناقضات، ويضيع في متاهات ما يثوه من عجيج وضجيج، دون أن يعرف الخطأ من الصواب، والزائغ من السائغ، فما أشد انطباق قوله تعالى عليه:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ}[1].

أما أهل العلم والفكر الحقيقيون والرساليون، فإنهم الذين يلزمون أنفسهم بقواعد ومناهج، أثبتت لهم الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة حقانيتها وصوابيتها وواقعيتها..

(1) الآيات من 8 إلى 9 من سورة الحج.

إن هؤلاء قد أعطوا هذه الضوابط والمعايير حرّيتها . بأمانة وصدق . لتهيمن على كل حركتهم الفكرية، والتزاماتهم الإيمانية، ولتحكم وتضبط مسيرتهم في كل موقف، وفي كل مجال.. فهي التي تفوض عليهم القرار، وتحدد لهم المسار، حتى إذا اعتمدوا رأياً أو موقفاً، ثم ظهر لهم: أنه لا ينسجم معها فإنهم يتراجعون عنه، بكل رضى، وحزم، وسيشعرون بالسعادة، لأنهم اهتدوا إلى الحق، وبالامتنان وبالعرفان لمن يدلهم عليه، أو يهديهم إليه، على قاعدة رحم الله من أهدى إلى عيوبي.

وتصبح هذه المعايير والثوابت هي السبب الأقوى في توحيد النظرة، وفي تجذر الفكرة على أسس سليمة وقويمة، وفي الانصهار في بوتقة الحقيقة برؤية صحيحة، ملؤها النقاء والصفاء، وبها تكون السعادة، ويكون البقاء..

مواجهة الانحراف:

وحين واجه هؤلاء العلماء الأبرار، ما ينسبه أهل الزيغ والهوى إلى الأنبياء من أمور تنافي عصمتهم الشاملة، فإنهم واجهوا ذلك بالموقف الحازم والحاسم، وبالرفض القاطع لكل هذه المقولات، لمنافاتها للأدلة القطعية التي تثبت طهارتهم وعصمتهم (عليهم السلام).. ثم عكفوا على تفسير الآيات الشريفة بما ينسجم مع هذا الاتجاه، ويتناغم مع تلكم المعايير.

وحتى لو فرض أن بعضهم قد وقع في الخلل والزلل، والمخالفة للقاعدة وللمنهج الأصيل، فلاريب في أنهم لا يصرّون على رأيهم ذاك إذا ظهر لهم خطله وفساده، بل هم سيشكرون من يدلهم عليه، أو يشير إليه.

الرؤية الصحيحة:

وإن مما لاريب فيه: أن المعروف بين الخاص والعام من مذهب شيعة أهل البيت (عليهم السلام) هو عصمة الأنبياء والأئمة (صلوات الله وسلامه

عليهم) عن الخطأ، والسهو، والنسيان، في التبليغ، وفي غيره. كما أنهم معصومون ومطهرون عن الذنوب صغيرها وكبيرها..

غير أن هناك ـ من غير الشيعة الإمامية ـ من حاول أن يستفيد من بعض الآيات الكريمة، أنـها تنسب للأنبياء خلاف ذلك.

الأمر الذي دعا العلماء الأبرار إلى بسط القول في هذه الآيات لبيان خطأ هذا الفهم، حفاظاً منهم على صفاء الاعتقاد لدى الناس الطيبين الذين يأخذون الأمور بعفوية وصدق، الأمر الذي يجعلهم أقل سعياً لتحصين أنفسهم من الوقوع في الشك والشبهة التي يحاول أصحاب الأهواء أن يوقعوهم بها.

آيات معصية آدم (عليه السلام):

ولعل الآيات التي تحدثت عما جرى لآدم عليه السلام في مواجهة مكر إبليس، وفيها قوله تعالى: ﴿وَعَصَىَ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىَ﴾ (1)، هي الأوفر حظاً، والأكثر تردداً على ألسنة السائلين والمجادلين، الذين يترددون ما بين قوسي صعود ونزول.

فمن السؤال البريء، الطالب لنيل الحقيقة، والراضي بها..

إلى سؤال يسعى إلى إشباع شهوة حب الظهور، من خلال الاستغراق في المراء والجدال العقيم، بهدف إسقاط الطرف الآخر في دوامة من العجيج والضجيج المرهق والمريء إلى حد الوقاحة، وتجاوز كل الحدود..

وانتهاء بما يسعى إليه الكثيرون من أصحاب النوايا السيئة، من اهتبال الفرصة لإثارة الشبهة، وزعزعة يقين الطيبين من الناس، ثم جرهم إلى أباطيل، وأضاليل، وأفائك يقدمونها إليهم على أنها البديل الصالح، والبلسم الشافي،

(1) الآية 121 من سورة طه.

في حين أنها السم الزعاف، وما أدراك ما السم..

القرآن.. وترشيد الفكر البشري:

والملاحظ أن آيات القرآن الكريم في سياق عرضها لما جرى بين آدم عليه السلام، وإبليس لعنه الله..وهي أخطر قضية ترتبط بأمر اعتقادي بالغ الحساسية، وله مساس عميق جداً بالتكوين الفكري، وبالنظرة، وبالتعامل، والسلوك، والتعاطي مع الأنبياء، ومع تعاليمهم، وله تأثير على حقيقة الارتباط بهم صلوات الله عليهم..

نعم.. إن القرآن الكريم قد عرض هذه القضية بطريقة تهدف ـ فيما تهدف إليه ـ إلى ترشيد الفكر البشري، وتحريك العقل الإنساني، وفتح آفاق المعرفة أمام الإنسان، وتعميق الرؤية لديه، وإطلاقه من أسار السطحية القاتلة، التي تشل حركته، وتسلبه أقوى مبررات وجوده.

وهذا هو ما عوّدناه القرآن الكريم في سياساته البيانية في مختلف المقامات والأحوال. فهو يريدنا أن نصبح قادرين على إدراك أكبر قدر ممكن مما تختزنه الألفاظ، في مفرداتها وفي تراكيبها من إيحاءات وإلماحات، تفيد في تنمية الفكر، وتعمق الوعي الإيماني لدى الإنسان، ليقوم الإيمان على أسس راسخة وقوية..

هذا البحث:

ومهما يكن من أمر، فقد أحببت في هذا البحث أن أقدم عرضاً سريعاً، وموجزاً جداً لما ترمي إليه هذه الآيات المباركات.

وسيظهر بوضوح أن ما يزعمون أنه هو الظاهر من الآيات المباركة، ليس بظاهر منها.. وإنما للآيات منحى آخر، يختلف، بل يتناقض مع المنحى الذي يزعمون أنها تسير باتجاهه، أو تشير إليه.

بل إننا لا نبعد إذا قلنا: إن الآيات الشريفة قد جاءت في سياق مدح آدم عليه السلام وتعظيمه، وتكريمه، وتفخيمه، لا لتلومه وتذمه..

إنها تريد أن تمنحه وسام التقدير الفائق، ولتؤكد على حقيقة مزاياه وخصائصه الفضلى، ولتشير إلى مقامه العظيم عند الله سبحانه. وأنه عليه السلام إنما نال هذا الوسام وتبوأ ذلك المقام، لنجاحه الباهر في الامتحان، وذلك حين أكل من الشجرة، إذ لولا أكله منها لاستحق الطرد المهين والمشين، ولكان جديراً بالإسقاط عن درجة النبوة، ولم يكن ليصلح لها، لا من قريب، ولا من بعيد.

رجاء.. ودعاء:

وإذا كانت هذه النظرة ستكون مثيرة للقارىء الكريم، فإن رجاءنا منه هو أن لا يستعجل الحكم، وأن يختزل من فورة الغضب لديه، ولا يبادر إلى الحكم بالبطلان والثوار على هذا البحث قبل أن يتم قراءته، علماً بأنه لن يصاب بالإرهاق أو الملل، وذلك لما فيه من اقتضاب وإيجاز.

حتى إذا أتم قراءته، وقف على مراميه ومقاصده، واطلع على ما فيه من دلائل وشواهد، وإشارات، فإنه سيجد الفرصة متاحة أمامه للرد أو القبول، إذا وجد لأي منهما المبرر المعقول والمقبول..

ونسأل الله سبحانه أن يهدينا وإياه سبيل الرشاد، وأن يمنحنا التوفيق والسداد، إنه ولي قدير، وبالإجابة جدير وجدير.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

حرر بتاريخ 6/4/1422 هـ. ق

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً)، جبل عامل، لبنان

جعفر مرتضى العاملي

آيات بيّنات..

الآيات الكريمة:

1 . إن الآيات التي تحدثت عما جرى بين آدم عليه السلام وإبليس هي التالية:

{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.. [1].

وقال تعالى:

{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ

(1) الآيات من 35 إلى 38 من سورة البقرة.

أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}.. [1].

وقال تعالى:

.. {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}.. [2].

(1) الآيات من 19 إلى 27 من سورة الأعراف.

(2) الآيات من 115 إلى 123 من سورة طه.

الفصل الأول:

ممهِّدات

الصفحة 20

الصفحة 21

مهرب ومسارب:

لقدرأينا: أن الكثيرين حين واجهوا الآيات التي تتحدث عن آدم عليه السلام، وعن غيره من الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) قد استسلموا للشبهة التي تثار، وانهاروا أمامها أي انهيار، وقد تجلى ذلك في مقولات عجيبة وغريبة، صدرت عنهم في أكثر من اتجاه، حتى لقد قال فريق منهم: إن الأنبياء غير معصومين مطلقاً.

وفريق آخر قال: إن الأنبياء قبل البعثة غير معصومين، وإنما كانت قصة آدم عليه السلام قبل بعثته..

وثالث ذهب إلى: أن المراد بإبليس هو القوة الداعية إلى الشر، في الإنسان، وليس المراد به إبليس الحقيقي، ليقال: إنه قد تسلط على واحد من عباد الله المخلصين.

ورابع ادعى: أن المراد بآدم عليه السلام ليس هو الشخص المعروف، الذي هو نبي معصوم، وإنما المراد به آدم النوعي، والقصة تخييلية محضة. ولم يقدم أي دليل على ذلك سوى حدسه، وظنونه، التي لن تغنيه من الحق شيئاً، لأنها من دون أي مبرر مقبول أو معقول.. [(1)].

إلى غير ذلك من أمور قيلت، تدخل في دائرة الشطط، والشذوذ،

(1) راجع تفسير الميزان ج8ص37.

الصفحة 22

ومجانبة الحق، أو تدور في فلك التحكمات الباردة، وإطلاق الدعاوى الفارغة من دون أي دليل.

غير أنه قد بقي هنا أمران، نشير إليهما في ما يلي بإيجاز، وهما:

1. القول: بأن لا أوامر مولوية قبل التشريع..
2. إن ما حصل لآدم عليه السلام كان من قبيل ترك الأولى.

لا أوامر مولوية قبل التشريع:

لقد حاول بعض الأعلام أن يقول ما ملخصه:

قال تعالى: {قُلْنَا اهبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

فهذه الآية أشارت إلى أن التشريعات التفصيلية قد أنزلت لآدم عليه السلام وذريته بعد الأمر الثاني بالهبوط، الذي هو أمر تكويني متأخر عن الكون في الجنة، والأكل من الشجرة، فحين الأكل منها لم يكن دين مشروع، ولا تكليف مولوي، فلا يتحقق ذنب عبودي، ولا معصية مولوية، بل هو ظلم نفس.

أما معصية النهي والأمر فهي بمعنى عدم الانفعال عن الأمر والنهي، سواء أكان مولوياً أو إرشادياً. وليس هو معصية مولوية.

وهو غواية لعدم تمكنه من حفظ المقصد، وتدبير نفسه في معيشته بما يلائم المقصد[2].

---

(1) الآيتين 38 و 39 من سورة البقرة.

(2) راجع: تفسير الميزان ج1 ص137 و138 بتصرف وتلخيص.

ونقول:

إن هذا الكلام لا يمكن قبوله، وذلك لأن إزالة الشوائب، وإن كان قد تم بصورة فعلية بعد هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض.. غير أن كون النهي عن الشجرة مولوياً أو غير مولوي، ليس مرتبطاً بذلك.. إذ لا مانع من أن يكون هذا الأمر الموجه للنبي آدم مولوياً، تماماً كما كان أمر الله تعالى للملائكة ولإبليس بالسجود لآدم عليه السلام، مولويا أيضاً.

ولأجل ذلك استحق إبليس اللعن والطرد إلى يوم الدين، لمجرد مخالفته للأمر المولوي الإلهي الموجه إليه.

فلا يصح جعل عدم تشريع الدين إلا بعد الهبوط الثاني، دليلاً على عدم وجود معصية مولوية، وعدم تحقق ذنب عبودي، وانحصار الأمر بظلم النفس. إذ يمكن أن يوجه الله تعالى أمراً ونهياً لآدم عليه السلام، لا تجوز له مخالفته. حتى في تلك المراحل المتقدمة أيضاً.

الإلزام لا يتوقف على التشريع:

وغني عن القول: إن الأوامر المولوية ليست منوطة بالتشريع وجوداً وعدماً، ليقال: إنه لم يكن قبل هبوط النبي آدم عليه السلام إلى الأرض تشريع. فلم يكن هناك أوامر ملزمة.

وذلك لأن التشريع إنما جاء لينظم علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبمجتمعه، ومحيطه.. وفق ملاكات المصالح والمفاسد الواقعية..

ولكن للأوامر المولوية ملاكات أخرى غير ملاكات المصالح والمفاسد، وهو ملاك المولوية والعبودية، والمالكية

والمملوكية، وحق الأبوة، فإنه أيضاً منشأ للإلزام ببعض الأوامر، وحق الألوهية والربوبية على المألوه والمربوب..

فإن هذا الأمر مما يلزم به عقلاء البشر بعضهم بعضاً، ويتعاملون على

أساسه، ومن خلاله، ولا يربطونه بتشريع إلهي، بل هم يرونه حقاً طبيعياً، يفرض نفسه على واقع حياتهم، ومعاملاتهم، فحق المالك على مملوكه، والمولى على عبده، والخالق، والرب والإله، على مخلوقه و.. و.. يفرض نفسه، حتى قبل نزول الشرائع..

بل إن هذا القانون هو الذي يفرض على الناس الالتزام بالشرائع، وإطاعة الأوامر الإلهية، هو قانون تحكم به العقول..

والنبي آدم عليه السلام هو صفوة الله، الذي يمتاز بكمال العقل، وبالخلوص، والصفاء، من الجهالات، والشهوات، والشبهات، التي يمكن أن تؤثر على العقل في قراراته، وأحكامه، وإدراكاته..

وبذلك استحق النبي آدم التكريم الإلهي، فجعله الله حين خلقه قبلة لسجود الملائكة، واستحق إبليس الطرد من رحمة الله حين أبى واستكبر عن السجود إليه..

ولعلك تقول: إن النبي آدم عليه السلام قد خلق للأرض، ولم تكن شريعتها الخاصة بها قد وضعت بعد.. أما إبليس والملائكة فلهم أحكام أخرى، فهم مؤاخذون بما قد يختلف عما يؤاخذ به الأرضيون..

ويجاب عن ذلك: إن ما يطلب من إبليس ومن النبي آدم عليه السلام شيء واحد، ومن سنخ واحد، وهو أن يكونا معاً في موقع العبودية والطاعة لله تعالى، قضاء لحق ألوهيته، وربوبيته، ومالكيته، وخالقيته، و.. و..

ومن موارد ذلك: أن لا يتعدى إبليس على النبي آدم ولا يخالف أمر الله له فيه، وفي ذريته..

كما أن على النبي آدم أن يلتزم بأوامر الله المولوية، والإرشادية، على حد سواء..

وهذا الكلام جار بالنسبة للملائكة، ولجميع المخلوقات بدون استثناء، قبل خلق النبي آدم عليه السلام وبعده.. وإن كانت للأوامر الإرشادية بالنسبة إلى البشر غير الأنبياء والأوصياء، خصوصية اقتضتها طبيعة الواقع الذي هم فيه، لأن الشرائع، التي يحتاجها الأرضيون وغيرهم، فإنما تقتضيها خصوصيات تكمن في واقع خلقتهم وظروفهم، وقدراتهم وحالاتهم..

خلاف الأولى:

وربما نجد: أن بعضهم قد اختار في توجيه قضية آدم عليه السلام التعبير الذي يقول: إن ذلك كان من قبيل ترك الأولى؛ فقد قال العلامة الطباطبائي (رحمه الله):

[ابتلاء آدم عليه السلام كان قبل تشريع الشرايع، فكان المتوجه إليه إرشادياً. وما ابتلى به من المخالفة كان من قبيل: ترك الأولى] [1].

وقال أيضاً عن التعبير القرآني الذي يوحي بصدور المعصية من آدم عليه السلام:

[إنما هي معصية أمر إرشادي، لا مولوي.

والأنبياء عليهم السلام معصومون من المعصية والمخالفة في أمر يرجع إلى الدين الذي يوحى إليهم فلا يخطئون، ومن جهة حفظه فلا ينسون ولا يحرفون، ومن جهة إلقائه إلى الناس وتبليغه قولاً، فلا يقولون إلا الحق الذي أوحي إليهم، وفعلاً فلا يخالف فعلهم قولهم، ولا يقترفون معصية صغيرة ولا كبيرة، لأن في الفعل تبليغاً كالقول.

وأما المعصية بمعنى مخالفة الأمر الإرشادي الذي لا داعي فيه إلا إحراز

---

(1) تفسير الميزان ج14 ص227.

المأمور خواً أو منفعة من خوات حياته ومنافعها بانتخاب الطريق الأصلح، كما يأمر وينهي المشير الناصح نصحاً؛ فإطاعته ومعصيته خارجتان من محوى أدلة العصمة. وهو ظاهر.

وليكن هذا معنى قول القائل: إن الأنبياء (عليهم السلام) على عصمتهم يجوز لهم ترك الأولى. ومنه أكل آدم عليه السلام من الشجرة[1].

ونقول:

أولاً: علينا أن نحمل كلامهم على أن مقصودهم هو الترك المستند إلى المقدمات الصحيحة، التي تناسب عصمة النبي أو الوصي، وحكمته، وعقله، وتدبره، بحيث يكون تركه للأولى من أجل أنه رأى في مرحلة الظاهر هذا الترك هو الأولى. وليس المقصود أنه عرف أنه الأولى، ثم تركه..

فإذا ظهر أن الواقع كان مخالفاً للظاهر، فإن ذلك لا يضر، لأنه تكليفه هو العمل بما ثبت له في مرحلة الظاهر..

والسبب في ذلك هو: أن تركه للأولى، إذا كان من أجل أنه لم يدرك أولويته، وكان عدم إدراكه لذلك يمثل نقصاناً في مستوى وعيه، وفهمه، وحكمته، أي أنه لا يدرك ما هو أولى وراجح، ولا يدرك أيضاً: أن عليه أن يأخذ بالراجح، ويلتزم به.

فمن المعلوم: أن ذلك لا يصح في حق الأنبياء والأئمة، كيف! وهم أعقل البشر، وأصحهم إدراكاً، وأحكمهم حكمة، وأصفاهم نفساً، وأعدلهم سجية، فلا يمكن أن يكونوا عاجزين عن إدراك ما يعقله ويدركه سائر الناس، خصوصاً فيما هو من قبيل إدراك جهات الحسن والقبح، وله علاقة بالتدبير

(1) المصدر السابق ج14 ص222.

الصحيح، ومن وظائف العقل الكامل، ومقتضيات الحكمة الرشيدة.

كما أن من الواضح: أن إدراك لزوم الأخذ بالراجح إنما يتأكد لدى العقلاء الحكماء، الذين لا ينطلقون في مواقفهم من هوى، ولا تدفعهم وتتحكم فيهم الغرزة العمياء، ولا تسيّرهم العصبيات أو العواطف..

وليس لنا أن نفرض: أنهم (عليهم السلام) يدركون ذلك كله، ويلتفتون إليه.. ولكنهم يميلون إلى الأخذ بالمرجوح، وترك ما هو راجح وأولى من دون أي سبب، سوى الاستهتار بالراجح. فإن ذلك معناه وجود خلل في درجة الحكمة، وفي التدبير الصحيح لديهم.

كما أنه يعني: أن ثمة خللاً أكيداً في توازن الشخصية النبوية والإمامية التي يفترض أن تكون في أعدل الأحوال.

ولا يكون ذلك بأقل من الاستخفاف التي وردت مشروعيتها على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وأمرونا. ولو من غير إلزام. بالعمل بمقتضاها. فإن حقيقتها مشورة البارئ، وهو علام الغيوب في أمر ما.

فهي إشارة نصح وإرشاد وتوجيه إلى أن في العمل، أو في تركه خواً وفائدة وصلاحاً.

والمعصومون (عليهم السلام) أولى الناس بالعمل بما فيه الخير والصلاح والأخذ بالأولى والأرجح، وهم الأسوة والقدوة لنا، أفتراهم يأمروننا بالعمل وفق الاستخارة التي هي نصح وإرشاد، وتوجيه للراجح، ثم يخالفون هم قضاء عقولهم في ذلك، ويختارون المرجوح؟!!.

وعلى جميع الفروض والتقادير، فإن إنساناً كهذا لن يكون هو الأصلح لمقام الأسوة والقدوة والهداية للناس إلى الرشد، وإلى الأصلح والأتم والأنفع لهم..

ولن يكون هو ذلك المربي الصالح، ولا الحافظ الناجح.. بل سيكون في سائر الناس من هو أولى منه بذلك، إذا كان بعيداً عن أمثال هذه الهنات، والتزم جانب الحذر، والمراعاة لما تقوده إليه حكمته، ويهديه إليه عقله، ويرشده إليه تدبره..

وذلك كله يحتم علينا أن نقول: إنه حين يختار المعصوم المرجوح، فلا بد أن يراه على أنه هو الراجح، رؤية لا تخل بعصمته، ولا بحكمته، ولا بعقله، ولا بتدبره، ولا بتوازن الشخصية لديه..

ولو بأن يقال: إن مرجوحيته إنما هي في مقام الواقع وراجحيته إنما هي في مقام الظاهر، والتكليف متوجه إليه بما هو في مرحلة الظاهر، وبحسب ما تؤدي إليه الأدلة، والحجج المجعولة، والتي يجب عليه الالتزام بها..

أما مرحلة الواقع فلا تكليف فيها حتى لو علم به من طرق أخرى، إذ أنه ممنوع عن متابعة علمه الواصل إليه منها..

وقضية آدم عليه السلام هي من هذا القبيل، كما سنرى. فيكون خلافه للأولى بحسب الواقع ونفس الأمر، إنما هو لصالح ما هو أولى منه في مرحلة الظاهر، بسبب ما استجد من عناوين مرجحة له إلى درجة التعيين والإلزام..

ولولا ذلك، فإن ارتكاب النبي آدم عليه السلام لخلاف الأولى يفقده الأهلية لمقام النبوة، ويجعله أهلاً للعقاب والعتاب، فإن مخالفة الأولى لا تقبل من الإنسان العادي، فكيف بنبي يعرف من اسم الله الأعظم خمسة وعشرين حرفاً، وهم يقولون: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وإذا جاز على الناس العاديين فعل مخالفة الأولى، فذلك لقصورهم أو لتقصيرهم، وإنما يعفو الله عنهم، ولا يعاتبهم، تفضلاً منه وتكرماً..

وصدور ذلك من الأنبياء، أصعب وأشد، فإن ذلك ينقص من مقامهم،

حتى لو لم يعاقبهم الله ولم يعاتبهم، لأن العفو التفضلي لا يعني بقاء المعفو عنه على درجة الأهلية، ولا يرى الناس من يرتكب ذلك أهلاً لمثل هذه المقامات العظيمة البالغة الحساسية، بل هو يسقط محله من نفوسهم وقلوبهم..

ولو كان ما صدر من النبي آدم عليه السلام خلاف الأولى، لما حصل بسبب ما فعله على التكريم الإلهي والتعظيم، وعلى الجوائز والمقامات، والعوائد والهبات..

ولتوضيح ما نرمي إليه نعود فنقول:

إنه حين خالف النبي آدم عليه السلام الأولى، فإن كان يدرك أولويته، ثم تركه، فهناك خلل في مستوى وعيه، أو في حكمته،

أو من حيث تسلط هواه عليه، أو عدم توازن في شخصيته..

وإن كان لم يدرك الوجدان، الذي من شأنه أن يدركه عامة الناس، ومع كون المورد أيضاً من موارد إدراكات العقل (كالحسن والقبح العقليين)، فهذا إنسان لا يليق بمقام النبوة، بسبب ضعف إدراكه، أو لوجود خلل عقلي لديه..

وموضوع إطاعة الأوامر هو مما يدرك الناس جميعاً وجوبه، استناداً إلى قانون الملكية والمملوكية، والمولوية والعبودية..

فإذا انتفى الأمران السابقان تعين الأمر الثالث، وهو أن يكون النبي آدم عليه السلام عالماً بما هو راجح في الواقع، ولكن رأى أنه قد عوضت له عناوين جعلته مرجوحاً في مرحلة الظاهر، أو العكس..

فالنبي آدم عليه السلام قد ترك الأولى في الواقع وعمل بالأولى، في مرحلة الظاهر.. فالصدق مثلاً أمر حسن في الواقع، لكن إذا كان يوجب قتل نبي، فإنه يصبح قبيحاً (في مرحلة الظاهر)..

ثانياً: إن لنا تحفظاً على ما ذكره العلامة الطباطبائي (رحمه الله) من حيث أن كلامه يوحي بأن عصمة الأنبياء تختص في أمور الدين من جهة تبليغها..

مع أن عصمتهم (عليهم السلام) لا تختص بهذه الناحية، بل هم معصومون في كل شيء من أمور الدين والدنيا، في التبليغ وفي غيره، وفي القول والفعل، والحفظ، وغير ذلك..

قبل الدخول في التفاصيل:

ثم إن السياق في الآيات التي ذكرت قضية النبي آدم قد جاء ليؤكد على أن ثمة اتجاهاً بيانياً واضحاً، لإبعاد هذه القضية عن توهم أن ثمة معصية حقيقية، ونجد الكثير من المفردات التي تسهم في بيان هذه الحقيقة، وقد ذكرنا العديد منها في سياق البحث في هذا الكتاب، وبقي بعض من ذلك نشير إليه بصورة توضيحية سريعة هنا.

فنقول:

1 . إنه تعالى حين حذر آدم عليه السلام من إبليس لم يزد على القول له: إنه عدو له، ولزوجه عليهما السلام.. فقال: **{إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ}**..

وأنه يريد أن يخرجهما من الجنة.. فقال: **{فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ}**..

وأن نتيجة ذلك هو الشقاء والتعب الذي ينشأ عن مواجهة حاجات محيط آخر، غير محيط الجنة بعد الخروج منها. ثم قال: **{فَتَشْقَىٰ}**..

وقال أيضاً عن الشجرة: **{لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}**..

2 . وتحدث عن فعل الشيطان، فقال عنه:

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا} [أي عن الشجرة].

وقال: **{فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}**..

الصفحة 31

ثم تحدث عن هدف الشيطان، فقال تعالى: **{فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما}**..

وفي آية أخرى يقول: **{ينزع عنهما لباسهما}**..

3 .وحين تحدث عن النتائج قال: **{فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما}**.

وقال: **{فبدت لهما سوآتهما}**..

وقال: **{وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة}**..

وقال: **{أخرج أبويكم من الجنة}**..

وقال: **{ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما}**.

4 . ثم جاءت الكلمات الأخرى لتتحدّث عن المعصية.والغواية، **{وعصى آدم ربه فغوى}**، ولتتحدث أيضا عن: التوبة من الله عليهما.

فقال تعالى:**{فتاب عليهما}**..

وعن طلبهما المغفرة،وإعترافهما بأنهما قد ظلما أنفسهما، قال تعالى: **{قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين}**..

وقال سبحانه: **{ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}**..

فكان لا بد من التماس الرابط البياني الذي يجعل هذا القسم الرابع متناسقاً مع سائر الأقسام التي سبقته..

وليس هذا الرابط أمراً افتراضياً صرفا،وانما سنجده نهجا حيا، يفرض نفسه في السياقات البيانية التي يتداولها أهل اللسان في محاوراتهم.

وحيث لا بد من الدخول في التفاصيل.. مع الالتزام الشديد بالإيجاز الذي نرجو أن لا يصل إلى حد الإخلال بالمقاصد..

الصفحة 32

فإننا نقول:

وعلى الله نتوكل، وبأنبيائه وأوليائه الأطيبين الأطهرين نبتهل ونتوسل: أن يلهمنا صواب القول، ووضوح البيان، والتوفيق بعد ذلك لنيل رضاه، والإهتداء بهداه.. جل وعلا.

الصفحة 33

الفصل الثاني:

إلى الجنة

الصفحة 34

الصفحة 35

أيَّة جنة؟!

لقد تحدثت الآيات الشريفة عن أن الله تعالى قد أسكن آدم وزوجه عليهما السلام الجنة.

فعن أية جنة يتحدث؟!

هل هي جنة الخلد؟، أم هي جنة من جنان الدنيا، لها طبيعة خاصة بها، لا تنسجم مع طبيعة الحياة على الأرض؟!. لأن الدنيا واسعة، بحيث تشمل كل ما في هذا الوجود..

وهل هي جنة في السماء؟ أم هي في الأرض؟!

إن هذا البحث، لا نرى أننا نستطيع أن نفيض في الحديث فيه هنا، فنكتفي بالقول:

إننا قد نجد في الآيات الكريمة، وفي بعض الروايات الشريفة ما يؤيد الاحتمال الذي يقول: إنها من جنان الدنيا.. فلاحظ ما يلي:

ألف . قوله تعالى: **{قُلْنَا اهبِطُوا مِنْهَا}** .. له درجة من الظهور في أن الجميع كانوا في محل ما، ثم أخرجوا منه.. مما يعني أن إبليس لعنه الله قد كان مع آدم عليه السلام وحواء في داخل ذلك المكان الذي سماه الله: الجنة.

ب . قوله تعالى: **{قَالَ اهبِطَا مِنهَا جَمِيعاً بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوٌ}**.

وقوله تعالى: **{وَلَكُمْ فِي الأَرضِ مُستَقَرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا**

الصفحة 36

تَحيَونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنهَا تُخرَجُونَ} .. يدل على أن الجميع قد أنزلوا إلى الأرض، بعد أن لم يكونوا فيها.

ج . أما القول: بأن قوله: **{اهبِطَا مِنهَا جَمِيعاً}** .. فإنما يدل على مجرد تنزل المقام والمرتبة، فهو كقولك لمن تغيرت حاله، وخسر مواقعه الدنيوية: انظر أين كان، وأين أصبح.

فهو لا ينافي ما ورد في الروايات من أنه عليه السلام كان في جنة من جنات الدنيا، ولا يتناقض مع القول بأنه نزل إلى الأرض، بل هو يتلاءم مع جميع الأقوال..

د . هناك بعض الروايات تقول: إن آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة أهبط على الصفا، وأهبطت حواء (عليها السلام)

على المروة. وتلك الرواية نفسها تقول أيضاً:

[سئل الصادق عن جنة آدم عليه السلام، أمِن ْجنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟

فقال: كانت من جنان الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً] [1].

ولكن كونها من جنان الدنيا لا يلزم منه أن تكون في الأرض، فإن السماء الدنيا واسعة، ويمكن أن يكون في بعض كواكبها جنة لها حياة وحالات، يمكن القول بأنها برزخية، من شأنها الإعداد للحياة على الأرض، وتطلع فيها الشمس والقمر..

ثم لما أكل النبي آدم من الشجرة التي تسانخ طبيعة الحياة الأرضية أهبطه

---

(1) تفسير الميزان ج1 ص138.

الله تعالى إليها.

آدم (عليه السلام) خلق للأرض:

ويبقى هنا سؤال: وهو أنه إذا كان الله تعالى إنما خلق النبي آدم عليه السلام ليكون خليفة في الأرض، فلماذا أسكنه تلك الجنة التي ليست في الأرض، مع ملاحظة: أن كلمة [اسكن] إنما تعني المكث الطويل، لا مجرد المرور العابر، أو الحلول القصير..

وقد أجاب العلامة الطباطبائي (رحمه الله) بقوله:

[قوله تعالى في صدر القصة: {إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً} [1] يفيد: أن آدم عليه السلام إنما خلق ليحيا في الأرض، ويموت فيها، وإنما أسكنهما الله الجنة لاختبارهما، ولتبدو لهما سوءاتهما، حتى يهبطا إلى الأرض]..

إلى أن قال:

[وبالجملة: فهو عليه السلام كان مخلوقاً ليسكن الأرض، وكان الطريق إلى الاستقرار في الأرض هذا الطريق. وهو تفضيله على الملائكة لإثبات خلافته، ثم أمرهم بالسجدة، ثم إسكان الجنة، والنهي عن قرب الشجرة المنهية حتى يأكلا منها، فتبدو لهما سوءاتهما، فيهبطا إلى الأرض.

فآخر العوامل للاستقرار في الأرض، وانتخاب الحياة الدنيوية ظهور السوأة] [2].

ونقول:

إن هذا الكلام متين لولا أن سياقه يعطي: أنه كان لا بد لإهباط آدم عليه

---

(1) الآية 30 من سورة البقرة.

(2) تفسير الميزان ج1 ص126و127.

السلام إلى الأرض من سلوك هذا الطريق، وإيقاع آدم عليه السلام بما يشبه الفخ المنصوب له. بحيث لولا ذلك، فإنه سوف يستعصي على الهبوط، وتفشل الخطة.. وقد جاءت الوقائع وفق ما رسم لها، وأعطت النتائج المرجوة منها!!.

وهو كلام لا يمكن قبوله على هذا النحو، فإن الهبوط إلى الأرض لا ينحصر بهذه الطريقة، إذ قد كان بالإمكان أن يخلق الله تعالى آدم عليه السلام في الأرض مباشرة من دون حاجة إلى إسكانه الجنة، ثم ظهور السوأة بالأكل من الشجرة.

الأقرب إلى القبول:

إنه يمكن الجواب بما يلي:

أولاً: ولعله الأقرب إلى الاعتبار في مثل هذه المقامات، أن يكون الله سبحانه حين قال للملائكة: **{إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}** .. إنما أخبرهم عما أحاط به علمه سبحانه .وهو المحيط العالِم بكل شيء .وعرفهم بما يؤول إليه أمر هذا المخلوق الجديد، وأنه سينتهي به الأمر إلى الاستقرار في الأرض، والعمل على إعمارها وفق ما يرضيه سبحانه..

لكن لا على أن يكون ذلك الذي جرى له هو الطريق المقضي عليه سلوكه بصورة جبرية، بحيث لولاه لم يمكن له أن يصل إلى الأرض، بل على أساس أن ذلك قد جاء على سبيل الإخبار عن الغيب الذي سوف يحصل، من دون أن يمثل ذلك أية حتمية وجبرية يتحتم على النبي آدم أن يخضع لها، ليتحقق المقصود.

ويمكن أن يكون إسكان النبي آدم عليه السلام في تلك الجنة من جنان الدنيا قد جاء على سبيل التكريم والإعزاز له، أو لأجل التهيؤ للانتقال إلى

المسكن الأصلي بعد حين.. لا على الطريقة التي التزم السيد الطباطبائي رحمه الله، والتي تقضي بجعل ما فعله إبليس جزءاً من خطّة لابد من إجرائها.

وقد كانت تلك الجنة التي أسكنه الله فيها، أكثر الأماكن أمناً للنبي آدم عليه السلام من أعدائه، بحسب ما هو معتاد، لولا ما توسل به إبليس من لطائف الحيل..

والله يعلم: أن إبليس سوف يلاحق النبي آدم في أي مكان حصل فيه، وسيسعى لحرمانه مما هو فيه، بكل ما لديه من خديعة ومكر وحيلة.

وقد يمكن الجواب أيضاً: بأن الجنة التي هبط منها هي من جنان الأرض نفسها، ولكن الله جعل لها مواصفات ممزة لا توجد في أية بقعة أخرى، وقد خلقها الله تعالى، لتكون لائقة بهذا المخلوق العظيم، ولكن بعد أن جرى ما جرى عليه، أهبطه الله إلى الأرض العادية التي لا تداني تلك في مواصفاتها ومزاتها..

أما تلك البقعة الممزة، فلا ندري ماذا صنع الله بها!! هل أبقاها على حالها؟!

أم أنه أزالها وطمسها؟! أم ماذا؟!

إن الله وحده هو العالم بذلك..

هذا..ولا مانع من التعبير بالهبوط، إذا كان الانتقال من مكان إلى مكان، فقد قال تعالى: **{اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ}**..[1].

نسيان النهي، أم نسيان الميثاق؟!

إننا دفعاً لأي لبس نبادر إلى التذكير بأنه قد يقال:

(1) الآية 61 من سورة البقرة.

إن الأقرب هو أن آية: **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}**.. لا ترتبط بموضوع الأكل من الشجرة، وإنما هي ناظرة. كما ورد في بعض الروايات. لنسيان الميثاق، الذي أخذه سبحانه على خلقه قبل نشأة آدم عليه السلام من الطين، بالإقرار بالنبي محمد، والإمام علي، والسيدة فاطمة، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والأئمة من ذريتهم، وبالمهدي وسيرته، صلوات الله عليهم أجمعين..

وفيها أن أولي العزم من الأنبياء، قد أقروا بهم، وأجمع عزمهم أن ذلك كذلك، ولذلك صاروا من أولي العزم، وذكرت بعض الروايات: أن ذلك قد كان في عالم الذر.

وأما النبي آدم (عليه السلام)، فلم يجحد ولم يقر بالنسبة للإمام المهدي (عليه السلام)، والحال التي يكون عليها الأمر في زمانه، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي، ولم يكن للنبي آدم عزم على الإقرار به، وهو قوله تعالى: **{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}**..[1].

وقد فسر المجلسي عدم العزم هذا، بأنه عدم التصديق اللساني، لأنه لم يكن واجباً، أو بعدم تذكره من أجل أنه لم يهتم به اهتماماً يوجب هذا التذكير ويحتمّه..

وليس المراد به عدم التصديق لأنه لا يناسب مقام النبوة..

وفسرت الروايات النسيان بالترك، لأن النسيان الحقيقي لا يجوز على

(1) راجع: نور الثقلين ج3 ص400 و401 و402 و403 وج2 ص94 و101، والكافي ج2 ص8 وج4 ص186 والمناقب لابن شهرآشوب، وعلل الشرائع، ج2 ص136 و137 ط الأعلمي وج1 ص149 وبصائر الدرجات..

الأنبياء[1]..والظاهر أن سبب هذا الترك هو عدم علم النبي آدم عليه السلام بالحقيقة، فكان الترك أمراً طبيعياً، إذ إن من لم يعلم شيئاً فإن تركه له يصبح أمراً متوقعاً، بل هو المناسب لواقع الحال، ولا يكون فيه عليه أية غضاضة..

ونحن نرجح هذه الروايات على تلك التي تقول: إن المراد هو نسيان النهي عن الأكل من الشجرة، وذلك لأمرين:

أحدهما: وجود الواو الفاصلة بين الآيتين، حيث يظهر أنها واو الإستئناف، فقد قال تعالى: **{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ}**..

فلو أنه قال: [ولم نجد له عزماً إذ قلنا الخ..] لظهر اتصال الكلام في الآيتين..

ولكن الفصل بالواو يشير إلى أنه قد بدأ بكلام جديد، ليس بالضرورة أن يكون له اتصال بما سبقه..

الثاني: أن هذا النسيان لو كان قد حصل فعلاً، فإن إبليس قد أزاله حين ذكَّر النبي آدم بنهي الله له، فقال: {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا..}..

وعلى كل حال، هذا التذكير بالنهي يجعلنا نرجح أن المراد بالعهد، هو العهد الذي أخذه الله على النبي آدم في نشأة عالم الذر ومن الواضح: أن هناك نشآت متعددة، مثل عالم الذر ونشأة الأرواح. والنشأة الجنينية، حيث تلتقي الأرواح بالأجساد، ثم النشأة التي تبدأ بالولادة، فيتدرج من الطفولة إلى الشيخوخة، ليصل إلى عالم البرزخ، ثم عالم البعث والآخرة.

وكل نشأة تمثل عالماً جديداً بالنسبة لهذا الكائن، وقد ينسى معها الإنسان

---

(1) راجع: مرآة العقول ج7 ص24.

حاله، وما جرى له في نشأته السابقة، بسبب العوارض والحجب التي يواجهها.

ولعل هذا الأمر لا يشمل أولي العزم من الأنبياء، وهذا ما يُظهر فضل نبينا، وأوصيائه الأكرمين، والزهراء سيدة نساء العالمين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فإنهم (عليهم السلام) لا ينسون شيئاً مما جرى لهم أو عليهم في السابق، ولا هم محجوبون عن النشآت اللاحقة.

ولعل ذلك يفسّر لنا قول علي عليه السلام: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً. ثم هو يوضح لنا كيف أن الزهراء (عليها السلام) كانت تحدث أمها وهي في بطنها قبل أن تولد، وثمة نصوص كثيرة تؤكد هذه الحقيقة، لا مجال لتتبعها..

إبليس يذكّر آدم (عليه السلام) بنهي الله له:

ومهما يكن من أمر، فإن مما يدل على أن الأكل من الشجرة لم ينشأ عن النسيان المشار إليه بقوله: {فَنَسِيَ}، أن إبليس نفسه قد ذكَّر آدم عليه السلام بنهي الله له، وحدد له المنهي عنه بالإشارة الحسية، حين قال له: {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}..

فهو يقول للنبي آدم عليه السلام: إن ربك نهاك، لكنه يتلاعب في بيانه لسبب النهي، ليتمكن من الوصول إلى ما يريد..

وكل ذلك يشير إلى أن النبي آدم قد أقدم على الأكل من الشجرة، وهو ملتفت لنهي الله له عنها. وهذا يؤيد ويؤكد أن المقصود بالنسيان في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}.. هو نسيان الميثاق، المتعلق بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، لا بعهد الربوبية كما أسلفنا، ولا نسيان النهي عن الشجرة.

بل إن نفس كيفية وصل هذه الآية بما بعدها يشير إلى ما نقول، حيث

قال تعالى بعدها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ .. فإنَ الإتيان بالواو قد أوضح أن الكلام عن الملائكة غير متفرع على ما قبله،ولا هو من توابعه التي ترتبط به..

ولو أنه لم يأت بالواو في قوله:﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ .. لتغير مجرى الكلام، ولكان المراد بالنسيان هو نسيان التحذير الإلهي للنبي آدم عليه السلام من إبليس، وفق ما تضمنته هذه الآية..

عالم الذر، وخلق الأرواح:

وبما أن النسيان للميثاق مرتبط بالكلمات التي أنقذت آدم عليه السلام من محنته كما سنرى. ولكي لا يخلو مقامنا هذا ولو من إشارة موجزة إلى هذا الأمر، فإننا نضع أمام القارىء الأمور التالية:

ألف . إن هناك روايات تحدثت عن عالم الذر،وأخذ الميثاق على الخلق،وهي كثيرة، فلتراجع في مظانها [(1)].

ب . إن في بعض هذه الروايات عن أبي عبد الله عليه السلام: أن الله أخذ على العباد ميثاقهم،وهم أظلة قبل الميلاد. وثمة روايات أخرى تشير أيضاً إلى عالم الظلال، فراجع [(2)].

قال العلامة الطباطبائي (رحمه الله):

إن المراد به . كما هو ظاهر الرواية .وصف هذا العالم، الذي هو بوجه

---

(1) راجع: تفسير الميزان ج9 ص225 وما بعدها وما قبلها وراجع: البحار ج64 وغيره.

(2) البحار ج65 ص206 وراجع: ج58 ص139و140 ، وراجع: ج64 ص98 و99 ، عن بصائر الدرجات ص80 وعن علل الشرائع ج2 ص80 وراجع: الكافي ج2 ص10 وتفسير الميزان ج9 ص326.

عين العالم الدنيوي، وله أحكام غير أحكام الدنيا بوجه، وعينها بوجه [1].

ج . إن ثمة روايات تحدثت عن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قال لعلي عليه السلام:

[أنت الذي احتج الله بك في ابتداء الخلق، حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألست بربكم؟

قالوا: بلى.

قال: ومحمد رسولي؟

قالوا: بلى.

قال: وعلي أمير المؤمنين؟

فأبى الخلق جميعاً إلا استكبارا ً عن ولايتك إلا نفر قليل، وهم أقل القليل، وهم أصحاب اليمين] [2].

وعن جابر بن يزيد، قال: قال لي أبو جعفر:

[يا جابر، إن الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله.

قلت: وما الأشباح؟

قال: ظل النور. أبدان نورية بلا أرواح إلخ] [3].

د . قد دلت بعض تلك الروايات الصحيحة سنداً أيضاً على أن الناس ينسون ما أخذه الله عليهم.

---

(1) تفسير الميزان ج9 ص326.

(2) البحار ج64ص127 وفي هامشه عن بشارة المصطفى ص144.

(3) الكافي ج1 ص442 والبحار ج58 ص142..

فقد روى القمي عن ابن ابي عمير، عن ابن مسكان، عن الإمام الصادق في قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ}.. [1].

قلت: معاينة كان هذا؟!

قال: نعم، فثبتت المعرفة، ونسوا الموقف، وسيذكرونه الخ..] [2].

هـ . إن ثمة روايات كثيرة، قال العلامة المجلسي (قده) إنها معتبرة، وأنها قريبة من التواتر، قد دلت على تقدم خلق الأرواح على الأجساد [3].

وقال رحمه الله:

[وما ذكروه من الأدلة على حدوث الأرواح عند خلق الأبدان مدخولة، لا يمكن رد تلك الروايات لأجلها] [4].

وعن أبي جعفر الثاني:

[خلق الله محمداً وعلياً، وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع

(1) الآية 172 من سورة الأعراف.

(2) تفسير الميزان ج9 ص325 وراجع أيضاً ص330 عن المحاسن..

(3)راجع في هذا الحديث الشريف: بحار الأنوار ج58 ص143 و144 و41 و80 و102 و136 و139 و137 و138 وج47 ص357 وج5 ص266 و261 وج11 ص172 وج8 ص308 وج42 ص196 وج26 ص320 وج4 ص222 وج65 ص205 ، وفي هوامش الصفحات السابقة عن المصادر التالية:رجال الكشي ص249 ،والمسائل السرويةوعن الكافي ج1 ص437 وعن معاني الأخبار ص108 و37 وعن بصائر الدرجات ص78 و88 و89 و24 و356 و354 بعدة أسانيد وعن الاختصاص ص354 وعن مناقب آل أبي طالب ج2 ص357..

(4) بحار الأنوار ج58 ص141.

الأشياء، فأشهدهم خلقها،وأجرى طاعتهم عليها] [1].

و . قوله في هذا الحديث الأخير: [وأشهدهم خلقها] يجعل قول المفيد (قده): [إنه حين رأى آدم عليه السلام [الأشباح النورية] لم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة،ولا أرواحاً ناطقة، ولكنها كانت على مثل صورهم في البشرية] [2].

يجعل قوله هذا من قبيل الاجتهاد في مقابل النص، ولعله لم يطلع على هذا الحديث وأمثاله.

فالظاهر: أن خلقهم (عليهم السلام) أشباحاً نورية بلا أرواح، قد كان في مرحلة ونشأة هي أسبق من النشأة التي أشير إليها في حديث خلقهم، ثم خلق الأشياء التي أشهدهم خلقها.

ز . إن الإشكال الذي سجلوه على صحة خلق الأرواح قبل الأجساد،وهو أنه لو صح ذلك للزم أن يتذكروا الأحوال السابقة، وهذا غير حاصل..

إن هذا الإشكال وغيره قد رفضه العلامة المجلسي (رحمه الله)، حيث قال:

[قيام الأرواح بأنفسها، أو تعلقها بالأجساد المثالية، ثم تعلقها بالأجساد العنصرية مما لا دليل على امتناعه.

وأما عدم تذكر الأحوال السابقة، فلعله لتقلبها في الأطوار المختلفة]..

إلى أن قال:

(1) الكافي ج1 ص441 والبحار ج15 ص19.

(2) البحار ج5 ص262 عن المفيد رحمه الله تعالى.

[مع أن الإنسان لا يتذكر كثيراً من أحوال الطفولية والولادة] [1].

وقد ذكرنا في موضع آخر: أن الأجساد العنصرية تمثل حجاباً يمنع من التواصل مع حقائق الأشياء، وتتضاءل درجة الإحساس بالأشياء بعد حلول الروح في الجسد، لأن ذلك إنما يتم عبر وسائط وأدوات، لا تملك قدرات عالية في هذا الإتجاه، ولذلك نجد أنه بعد انفصال الروح عن هذا الجسد، وكذلك بالتصوف الإلهي بتلك الحجب يترقى الإنسان في إحساسه بالأمور وإدراكه لها، قال تعالى: **{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}**..[2] وقد ذكرنا ذلك في كتاب [تفسير سورة هل أتى] فراجع..

وعلى كل حال، فإن مما يدل على ذلك أيضاً: الحديث الصحيح المتقدم، حول آية إشهاد الخلق على أنفسهم حيث قال فيه: فثبتت المعرفة، ونسوا الموقف وسيذكرونه.

---

(1) البحار ج58 ص144 في مناقشته لما قاله المفيد رحمه الله تعالى في أجوبة المسائل السروية.

(2) الآية 22 من سورة ق.

الفصل الثالث:

الوصايا الإلهية لآدم (عليه السلام)

إبهام.. ودقة في التحديد:

وفي قوله تعالى لآدم عليه السلام: **{وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}**..

يلاحظ: أنه تعالى قد حدّد للنبي آدم المنهي عنه بواسطة اسم الإشارة، ولكنه لم يذكر له اسم الشجرة ولا صفتها، ولا حالاتها، ولا غير ذلك مما يرتبط بها.

فهو تعالى:

أ . من جهة قد أمعن في تحديد المنهي عنه لآدم عليه السلام، إلى حد التجسيد الواقعي له، ليصبح أمراً ظاهراً محسوساً، تصح الإشارة الحسية إليه، بقوله: {هَذِهِ الشَّجَرَةَ} ، والمعرفة الحسية هي الأقوى، والأوضح، والأصرح..

ب . ومن جهة أخرى أبقاه على درجة عالية من الإبهام والغموض، بسبب عدم ذكر الصفة، والاسم لتلك الشجرة، ولا بين له طبيعتها، وخصوصياتها، ومميزاتها، وغير ذلك..

وليست تلك الشجرة من الأمور البسائط، التي يكون نفس حضورها كافياً في الكشف عن حقيقتها..

كما أن الأمر بالنسبة لإبليس قد جاء على هذا النحو كما سيأتي..

وقد ادعى البعض: أن لفظة [هَذِهِ] قد جاءت لتشخيص الشجرة بكل تفاصيلها، وصفاتها..

وهو ادعاء باطل، ويخالف البديهة، لأن الإشارة الحسية تفيد حضور المشار إليه، والاطلاع على ظاهر أمره، ولا تفيد شيئاً في التعريف بباطنه وحالاته، وخصائصه غير الظاهرة، إذا لم يكن من البسائط التي تنال حقائقها بنفس التوجه إليها وإدراكها..

لماذا الإبهام.. ولماذا الدقة؟!

وبعدما تقدم نقول:

إن التحديد للشجرة بهذه الطريقة يجعل آدم عليه السلام أمام احتمالين:

الأول: أن يكون المنهي عنه هو شخص هذا المشار إليه خارجاً، بحيث يكون النهي عن هذه الشجرة إنما هو لخصوصية فيها، لا توجد في غيرها حتى لو كانت متفقة معها بالجنس والحقيقة، بأن كانتا معاً من شجر الرمان، أو الحنطة مثلاً. ففي هذه الحال، لو أكل من غيرها، ولو كان من جنسها، فإنه لا يكون مخالفاً للنهي.

الثاني: أن لا يكون لها أية خصوصية، بل هو يشير إليها بما أنها فرد من جنس بحيث تكون جميع الأشجار التي من فصيلتها منهياً عنها أيضاً، وإنما أشير إليها بخصوصها لمزيد من التأكيد والتحديد لها.. فلا يجوز له . والحال هذه . الأكل من الشجرة المشار إليها، ولا من غيرها إذا كان من فصيلتها.

فإذا كان آدم عليه السلام أمام هذين الاحتمالين، فإن عليه أن يسعى لترجيح أحدهما..

وقد ورد في الروايات: أن إبليس لعنه الله قد حاول أن يقنعه بأن المنهي عنه هو خصوص هذه الشجرة التي أشير إليها.. أما سائر ما هو من فصيلتها، فلا يشمله النهي..

فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال للمأمون:

[{وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} .. وأشار لهما إلى شجرة الحنطة {فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} ، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها، وإنما أكلا من غيرها، لما أن وسوس الشيطان إليهما، وقال:

[ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما ينهاكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها، إلا أن تكونا ملكين، أو تكونا

(1)

من الخالدين] .

فهو عليه السلام يقول: إنه تعالى لم ينههما عن تلك الشجرة وعن غيرها مما كان من جنسها، وإنما نهاهما عنها فقط، وهما لم يقرباها هي، بل أكلا من شجرة غيرها كانت من نفس نوعها.

وهذا معناه: أن النبي آدم عليه السلام قد افترض أن النهي إنما هو عن شخص تلك الشجرة، لا عنها وعن كل ما يجانسها.

فإذا كان عليه السلام يخاف من الإقدام على الشجرة التي حددتها الإشارة الحسية له في خطاب النهي، لاحتمال أن يكون لها خصوصية من نوع ما، فبإمكانه أن يأكل من شجرة أخرى من نفس نوعها، ليحقق بذلك الغرض السامي الذي يسعى إليه، وليتحاشى تلك الخصوصية التي أوجبت المنع من تلك التي أشير إليها إشارة حسية.

الإبهام والدقة في تحديد العدو:

ومن جهة: نجد أن الله تعالى قد أمعن في تحديد عدو النبي آدم إلى حد أنه جعله ظاهراً محسوساً، يشار إليه بالإشارة الحسية، التي هي أرقى وأوضح

(1) البرهان في تفسير القرآن ج3 ص46 وج1 ص83 و81، والبحار ج1 ص164 عيون أخبار الرضا.ج1ص196.

وأصرح أنواع الدلالات، لأنه تعني الحضور الفعلي للمشار إليه، فقال: **{إِنَّ هذَا عَدوَ لَكَ}**..

لكنه من جهة ثانية: قد أبقاه على حالة من الإبهام، فلم يذكر له اسمه، ولا صفته، ولا أطلعه على حيله، ومكره وحبائله، بل اكتفى بالإشارة إلى عداوته له، وإلى أنه قد يخرجهما من الجنة.

وسيأتي: إن الإبهام والتحديد قد جاء وفق السنة الإلهية الجارية، التي تريد للمخلوقات أن يتكاملوا باختيارهم، ووفق الهدايات التي أنعم الله بها عليهم، من دون أن يكون ثمة أي حيف أو انتقاص..

إشكال.. وجوابه:

ولعلك تقول: لو لم يكن النبي آدم يعرف إبليس معرفة تامة، واستطاع إبليس أن يتخفى عليه، فكيف عاتبه الله تعالى ولامه على طاعته له، حيث قال: **{وَأَقُلْ لكمَا إِن الشَّيطآنَ لكمَا عَدوَ مُبَين}**..

ونجيب:

إن هذا ليس عتاباً للنبي آدم عليه السلام، بل هو إعلام له بأن الذي كلمه، وأثار الاحتمالات أمامه كان هو نفس ذلك الذي كان الله قد حذره منه، وأخبره بأنه عدوه.. و..

فهذا النداء ليس لوماً للنبي آدم، بل هو كشف له عن حقيقة الأمر..

مستوى معرفة آدم (عليه السلام) بإبليس:

كما أننا حين نقرأ في كتاب الله أن إبليس قد وسوس لآدم، فلا يعني ذلك أن لإبليس تسلط وهيمنة على آدم، وإنما يراد منه أنه

قد استطاع أن يوصل الفكرة إلى آدم من طرف خفي، ككونها مغلفة ببعض ما يخفي نواياه الحقيقية من طرحها..

بل إننا نقول: إنه لا دليل على أن آدم عليه السلام كان قد سمع صوت إبليس، أو عرف طريقة إلقائه للكلام قبل قصة الشجرة،ولا دليل أيضاً على أنه عليه السلام قد عرف خصوصياته، من حيث خلقه من مزاج من نار، وكونه من الجن،ولا اطلع على قدرته على الظهور والاختفاء،وعلى التشكل بأشكال مختلفة، طولاً وعرضاً، وكبراً وصغراً، وبصفة طائر تارة، وبصفة حيوان أو إنسان أخرى..وغير ذلك.

إبليس يظهر بأي صورة شاء:

وقد أشير إلى هذا الأمر الأخير،وهو قدرة الجن .وإبليس كان من الجن . على الظهور بأي صورة أرادوا، في العديد من الروايات.

فقد روي عن الحارث الأعور قال:

بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر يوم الجمعة، إذ أقبل أفعى من باب الفيل..

إلى أن تقول الرواية:

إن علياً (صلوات الله عليه): أخبرهم: أن هذا الأفعى هو من الجن قال:

[فأتاني في ذلك، وتمثل في هذا المثال، يريكم فضلي إلخ..] (1).

فلاحظ قوله: [وتمثل في هذا المثال].

وفي رواية أخرى: أن هاتفاً كلّم النبي، فقال (صلى الله عليه وآله)، له:

[إظهَر رحمك الله في صورتك.

(1) الثاقب في المناقب ج2 ص248 ومدينة المعاجز ج1 ص141.

قال سلمان: فظهر لنا شيخ أذب، أشعر، قد لبس وجهه شعر غليظ الخ..] (1).

وفي حديث آخر: أنه (صلى الله عليه وآله) كان جالساً بالأبطح،وعنده جماعة من أصحابه.. [إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت فأثارت الغبار، ومازالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقفت بحذاء النبي (صلى الله عليه وآله)، ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله..

إلى أن تقول الرواية:

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها.

قال: فكشف لنا عن صورته، فنظرنا فإذا الشخص عليه شعر كثير، فإذارأسه طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير (2)

الحدقتين الخ..] .

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

إن إبليس لعنه الله قد طلب من ربه أن: [لا يولد لهم (أي لبني آدم) ولد إلا ولد لي اثنان، ورأهم، ولا يروني، وأتصور لهم في كل صورة شئت] [3].

وفي حديث آخر:

أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً وعنده جني يسأله عن قضايا مشكلة، فأقبل أمير المؤمنين، فتصاغر الجني حتى صار كالعصفور.. الخ [4].

---

(1) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ج2 ص308 ومدينة المعاجز ج1 ص144/145 وحلية الأبرار ج1 ص268 والبحار ج39 ص183.

(2) مدينة المعاجز ج1 ص148/149 وحلية الأبرار ج1 ص270 وعيون المعجزات ص43 . والبحار ج18 ص86 وج60 ص90.

(3) تفسير الميزان ج8 ص61 عن تفسير القمي.

(4) مشارق أنوار اليقين ص85 ومدينة المعاجز ج1 ص142 عنه..

يضاف إلى ما تقدم حديث يقول:

إن جنية من أهل نجران تمثلت في مثال أم كلثوم [1] فراجع.

وأمثال ذلك كثير لا مجال لاستقصائه..وهو يدل على ما ذكرناه من قوة الجن .وإبليس منهم . على الظهور بأية صورة أرادوا..

البيان المتجانس:

وعلى كل حال: فإن الخطاب الإلهي للنبي آدم عليه السلام قد جاء في غاية الوضوح، وغاية في الإبهام، بالنسبة لإبليس، وبالنسبة للشجرة على حد سواء..

كما أنه قد أشار إلى الشجرة بكلمة هذه، وإلى إبليس بكلمة هذا، ولكنه بعد أن جرى ما جرى، قد جاء الخطاب معاكساً في منهجه للخطاب الأول، حيث قال: **{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}**[2].. فأبعد الشجرة عن ساحة الحضور، وأشار إليها بكلمة تلك، كما أنه أبعد إبليس عن ساحة الحضور، وصار يتحدث عنه بصيغة الغائب، ووصفه بالشيطان، ليشير إلى صفاته الذميمة التي يوحي بها هذا الوصف، فقال: **{وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}**[3]..

---

(1) بحار الأنوار ج42 ص88 والخرائج والجرائح ج2 ص825 و826 ومرآة العقول ج21 ص198 وج20 وراجع: المجدي في أنساب الطالبيين ص17 و18 ومدينة المعاجز ج3 ص202 والصراط المستقيم ج3 ص130 وسفينة البحار ط سنة 1414هـ ج1 ص684.

(2) الآية 22 من سورة الأعراف.

(3) الآية 22 من سورة الأعراف.

لماذا الإبهام؟

ويبقى السؤال يلح بطلب الإجابة، وهو: أنه لماذا لا يكون البيان الإلهي للنبي آدم، واضحاً وصريحاً؟.. وما هي الحكمة في هذا الإبهام؟ سواء بالنسبة إلى الشجرة، أو بالنسبة لإبليس..

ونجيب باختصار: إن السياسة البيانية الإلهية ترتكز إلى أمر واقعي وهام، وهو أن الله تعالى قد زود النبي آدم بهدايات من شأنها أن تصونه من مكر إبليس، وهي هدايات عقلية، وفطرية، وشرعية، وإلهامية، وغيرها.. والنبي آدم هو خيرة الله تعالى وصفوته. فلا بد أن تكون هذه الهداية شديدة الحضور والتأثير في حياته عليه السلام..

ولكن من الواضح: أنه تعالى يريد أن يحفظ للفطرة دورها، وللعقل دوره، في الهداية، والرعاية، والتدبير، والحركة في الحياة، فلا يتدخل في شؤونها، ولا ينوب عنها فيما هو من وظائفها، إلا في المواضع التي لا يجد سبيلاً للاهتداء إليها.. كما هو الحال في الأمور الغيبية، فإن الله سبحانه يفتح باب الهداية إلى ذلك الغيب، ويكشفه له بالمقدار الذي لا يضر بدور الفطرة والعقل والإلهام، وغيرهما من وسائل الهداية..

وقد كشف سبحانه للنبي آدم عن الشجرة، وعن إبليس، وعن عداوته له، وبقيت جوانب أخرى غامضة لا بد أن يحيلها إلى الهدايات العقلية أو الفطرية لكي تكشفها له، ولتمارس دورها وفقاً للضابطة، وللناموس الطبيعي الذي أراد له أن يكون المهيمن على الحياة، وهكذا كان..

وقد أعطى الله تعالى لتلك الهدايات كل القوة، وكل الصلاحيات، وكل الاعتبار. وإن كانت لا تستطيع أن تنفذ إلى بواطن الأمور، بل تبقى في دائرة الظاهر..

إن إبليس حتى وهو أبعد مخلوقات الله، عن رحمة الله، لا بد أن يعامله الله بعدله، القاضي بإفساح المجال له ليختار، وليفعل ما يختار، فلا مجال لإجراء الأمور عليه بالقهر والجبر، بل حاله حال أي مكلف آخر..

ولأجل ذلك لم يكن ليتعامل معه بطريقة الغيب، التي تؤدي إلى عجزه عن التصرف، وتأخذ عليه السبيل، ولأجل ذلك كان مقتضى العدل هو الاقتصار على دلالة النبي آدم عليه، وإعلامه بعدوانيته، وبنواياه..

وأما سائر الأمور فإنه أوكلها إلى سائر الهدايات، لأن التحرك من موقع الغيب فيها معناه إخراجها عن دائرة الاختيار، وهو على خلاف السنة الإلهية الجارية في المخلوقات برهم وفاجرهم..

ولأجل ذلك لم يكن يحق للأنبياء والأوصياء أن يتعاملوا مع الناس، إلا بالعلوم العادية المتيسرة لكل أحد، فلا يحق لهم أن يعاملوهم بعلم الشاهدية على الأعمال، أو بعلم الغيب الذي يظهرهم الله عليه، لأن في ذلك نوعاً من الظلم والقهر للناس، لأنه يتوسل بأمور ليس لهم سبيل إليها، وهي خارجة عن دائرة اختيارهم..

طموحات النبي آدم (عليه السلام):

وبعد، فإن آدم عليه السلام هو ذلك الإنسان الإلهي، الذي خلقه الله تعالى من تراب . وفي التراب المزيد من الخير والعطاء والزيادة . وقد أراد تعالى لآدم عليه السلام أن يكون ذلك الإنسان الكامل، الخالص، والصفوة، والرضي في صفاته وحالاته. والعاقل المدرك، والحكيم، والمتوازن، والمدبر، الذي يستحق أن يكون أبا للبشر كلهم، ونموذجاً للكمال الإنساني، بحيث يرتفع إلى درجة نبي، له طموحات، وتطلعات الأنبياء، لا يعيش لنفسه، ولا تحركه شهواته ولا غرائزه بل يعيش لله تعالى، ولا يفكر إلا

في نيل رضاه، والحصول على درجات القرب والزلفى منه.. والحلول في منزل الكرامة لديه..

وقد جعله الله في الجنة تعززاً له وتكريماً، وليظهر فضله وكرامته، وعظمته، لكل مخلوقاته، وخوله أن يمارس حياته فيها وفق ما يحب ويختار..

رغداً:

ولذلك قال تعالى له ولزوجه: **{وَكُلا مِنهَا رَغداً حَيثُ شِئتُمَا}** .. فالرغد موجود في أي زمان أو مكان حصل فيه الأكل، وقوله: [رَغَدَا]، أي كثيرا واسعا طَّيبا، رفّيها، لا يتعب فيه ولا يعيا.

وهذا الوصف كان هو المناسب لمحيط تلك الجنة وحالاتها، وطبيعة الحياة فيها، ومن حيث كون الجسد يمتلك الخصائص التي تتناسب مع هذا المحيط، وتحقق الرغد بمعناه الواقعي.

تعهدات حول مستقبل النبي آدم (عليه السلام) في الجنة:

وحين أسكن الله سبحانه آدم عليه السلام الجنة، قال له: **{إِنَّ لَكَ أَلا تَجوعَ فِيهَا وَلا تَعرَى * وَأَنَّكَ لا تَظمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى}**..

ولتوضيح ما يرتبط بهذا الأمر، نقول:

أ . إن هذه الأمور الأربعة هي أدنى ما يحتاج إليه الإنسان في استمرار حياته وبقائها.

ب . إن هذه الأمور التي أشار الله تعالى إليها ليست هي من الأمور العارضة، أو فقل: الطارئة في حياة الإنسان، بحيث يمكن الاستغناء عنها في حين من الدهر . بل الحاجة إليها لا تتوقف . كما أن طبيعة وجودها تفرض دوام التعرض لتحصيلها، واستمرار الطلب لها، والتعاطي معها، ولا يكفي لإنجازها بذل الجهد مرة واحدة . مثلاً . ثم ينتهي الأمر..

فإذا حصلت هذه الأمور للنبي آدم عليه السلام، كفاه ذلك، ولا يحتاج في استمرار حياته كإنسان إلى سواها..

غير أن من الواضح: أن هذا ليس هو نهاية طموح النبي آدم عليه السلام، وليس هو رمز سعادته، وسر وصوله إلى الجنة؟!

كما أن حصول النبي آدم على هذه الأمور الأساسية، قد جعل إبليس عاجزاً عن إطماعه عليه السلام بمثل هذه الأمور الأساسية والحساسة..

كما لا يمكن أن يغوي النبي آدم بما يرتبط بلذة الجنس، فقد انسد باب التوسل بها لإغوائه، لوجود زوجته حواء معه.. وكذلك سائر الملذات التي في الجنة..

ولذلك فإنه حين عوض إبليس على النبي آدم الأكل من الشجرة لم يذكر له شيئاً عن مثل هذه الأمور لحمله على ذلك، بل اتجه إلى ما هو أسمى من ذلك، وجعله هو الخيار أمام النبي آدم عليه السلام..

ج. إنه تعالى حين أسكن آدم عليه السلام في الجنة قد أعطاه ما ينسجم مع طموحاته، ويتلاءم مع طبيعة ما يفكر فيه. حيث طمأنه إلى أنه سيرتاح من عناء التفكير، والعمل من أجل الحصول على ما يسد به الرمق، ويروي من الظمأ، ويستر العورة، ويقي من الحر والبرد، كما أشار إليه قوله تعالى: **{إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى}**، أي تدخل في وقت الضحى، وهو الوقت الذي يبدأ الإنسان فيه بالتضايق من الحر..

فإذا حصل على هذه الأمور الأربعة، فإنه سوف يعيش حياته من دون تنغيص أو ألم، ولا يحتاج إلى رسم الخطط وبذل الجهود للحصول عليها، كما أنه لا يحتاج إلى الحفظ، والحمل، والتصنيع، والإعداد، وغير ذلك. ولا يهمه بعد ذلك أن يحصل على خزائن الطعام، ولا على أطقم الألبسة، أو الأشربة المختلفة، أو القصور، فإن ذلك كله لا يزيد في الشبع، ولا في الستر،

ولا في اعتدال الحرارة،ولا في الري..

ولكن تلك الزيادات، إن طلبت فإنما تطلب لأمر آخر.. لا تأثير له في حفظ الحياة، واستمرارها..

على أن من الواضح: أن هذا التعهد الإلهي معناه: أن الله تعالى إذا كان لا يرضى بأن يتعرض النبي آدم لأي ضيق أو أذى، فلا يرضى أن يبتليه بما هو أشد، كالأمراض الصعبةولا السهلة مثلاً،ولا يرضى له بأن يعيش ذليلاً، أو مهاناً مثلاً..

كما أن هذا التعهد لا يعني أنه يحرمه من أنهار العسل المصفى، أو القصور، أو البساتين، أو غير ذلك. فقد يعطيه ذلك أيضاً..

ولعل السبب في أنه تعالى اقتصر على هذه الأمور، ولم يذكر لآدم عليه السلام أزيد منها، هو أن تلك الزوائد لا تمثل طموحاً له، فهو لا يفكر في اقتناء الأموال،واختراق الجبال،وإنشاء الجسور، وبناء القصور،واختراع الآلات التي تمكنه من التغلب على الموانع، وتمنحه الفرصة، وتسهل له الوصول إلى مراداته. فضلاً عن أن يفكر في المناصب، أو أن يسعى إلى امتلاك اسباب القوةوالهيمنةوالسلطان.. وما إلى ذلك.

إن ذلك كلهزيادات لا يفكر فيها آدم عليه السلام، بل هو يرفضها، لأنه يريد أن يفرغ نفسه لطاعة الله الذي ملأ قلبه،وأخذ حبه عليه سمعه وبصره، وملك مشاعره..ولا يريد أن يشغله عنه شيء، حتى ولو مثل التفكير بلقمة عيش يتقوى بها جسده، أو شربة ماء تحفظ حياته، فضلاً عما هو ابعد من ذلك.

د ـ ثم إن هذا العطاء الإلهي لآدم عليه السلام في الجنة، يشير إلى الرعايةوالكرامة الإلهية التامة،والمحبة الحقيقية منه تعالى له. فإنه إذا كان بصدد حفظه حتى ولو من أن يتضايق من حرارة الشمس في وقت الضحى،

حيث تبدأ حرارتها بالتأثير، فهل يرضى له بمعانات حرها وهي في أوج توقدها؟!،وهل يرضى بأن يواجه ما هو أشد وأقسى،وأعظم وأدهى؟!. مثل الآلام والأمراض، أو أن يواجه أذى أعدائه وكيدهم.. أو يعاني من الجهد والضنا في تحصيل مراداته، والوصول إلى غاياته؟!

وذلك كله يشير إلى أن قوله تعالى: **{إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا}** الخ.. قد جاء على طريقة **{فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}**، الدال على المنع مما هو أشد كالإهانة، والضرب، ونحو ذلك.

الأكل من الشجرة.. ظلم:

ثم ذكر الله سبحانه لآدم وزوجه عليهما السلام: أن أكلهما من الشجرة يجعلهما من الظالمين، ولم يدخل سبحانه ذلك في دائرة العصيان، بمعنى التمرد على المولى، وهتك حرمته، وكسر هيبته.

واللافت: أن النبي آدم عليه السلام بعد أن حدث له ما حدث، وقال الله لهما: **{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}**.. لم يصف نفسه بالعاصي، بل إستعمل نفس التعبير الذي ورد في التحذير الإلهي، حيث قال: **{رَبَّنَا**

ظَلَمَنَا أَنفُسَنَا}..َ

ظلمنا أنفسنا: كيف؟!

إن الظلم هو تجاوز الحدود.

فيحتمل أن يكون المراد بالظلم في الآية:

1 . أن يكون التعدي على حدود المخلوقات الأخرى، كالبشر أو الملائكة، أو الجن، أو غير ذلك. فيكون هذا التعدي عليها ظلماً لهم.

وليس في أكل النبي آدم عليه السلام من الشجرة ما يشير إلى شيء من هذا القبيل.

2 . ويحتمل أن يكون المراد بالحدود هي حدود الله سبحانه، بحيث يكون التعدي عليها تعدياً عليه، وهتكاً لحرمته، وهو ما يدخل في دائرة العصيان.

وإرادة هذا المعنى من قوله تعالى: **{فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}** ..َ تحتاج إلى درجة من العناية والتجوز في التعبير، فكيف إذا كانت الآية قد صرحت بخلافه كما سنرى!!..

3 . ويحتمل أن يكون المراد بالحدود التي كان التعدي عليها هي حدود طاقة ووسع النفس، فيكون الظلم للنفس دون سواها، بمعنى أنه يحملها أكثر مما اعتادته فيرهقها بذلك ويتعبها، كمن يشتغل ستة عشر ساعة بدلاً من ثماني ساعات، ليحصل على ما هو أهم بنظره.. وكالتلميذ الذي يدرس في أيام الامتحانات أكثر من سائر الأيام، ليعوض النقص الذي نشأ عن إهماله في الأيام السالفة، أو أنه يبذل جهداً أكثر من رفقائه ليحصل على درجات أعلى ومراتب أرفع، فيكون له بذلك التقدم عليهم، ولا يلومه الناس على تعديه الحدود في معاملته لنفسه، من أجل أن ينجح في الامتحان بتفوق..

وهذا المعنى هو الأقرب، بل هو المتعين في معنى الآية، حيث جاء الإلماح إليه في قوله تعالى: **{فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}**.. ثم جاء التصريح به في قول آدم وزوجه عليهما السلام. **{ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا}** ..َ ولم يقولا: أذنبنا، أو عصينا..

وسيأتي أيضاً أن المقصود بقوله تعالى: **{وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا}** لَيْسَ هو المغفرة بمعناه الذي ألفناه، بل بمعنى المبادرة إلى معونتهما والستر عليهما، وإعادة ما كان خافياً وكافياً إلى حالة من الخفاء والكمون، بنحو يحفظ لهما درجة من الراحة في حياتهما.

الفصل الرابع:

إبليس..

وآدم عليه السلام..

والشجرة..

هدف إبليس:

والآيات الكريمة، تعطينا أن هدف إبليس لم يكن هو إغواء آدم عليه السلام، وجره إلى المعصية.

ويشير إلى ذلك:

ألف . أن إبليس كان يعلم: أن آدم عليه السلام كان من عباد الله المخلصين . بفتح اللام . أي الذين ليس فيهم أي شائبة لغير الله سبحانه.. وقد تأكد هذا الأمر له حين أمره الله بالسجود له، إعظاماً للنبي آدم وتكريماً، واعزازاً، واعلاما بحقيقة جوهره، وأنه خيرة الله، وصفوته من خلقه، فاستكبر إبليس لعنه الله، فاستحق غضب الله، والطرد من ساحات قدسه ورحمته..

ب . إن إبليس كان يعلم أنه غير قادر على إغواء النبي آدم عليه السلام، فتحول إلى ذريته وأكد على أنه سوف يحتنك هذه الذرية، وسيزين لهم المعاصي، وسيقعد لهم صراط الله المستقيم، ليصدهم عنه، ويردهم إلى التيه والضلال.

{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا}[1]..

وقال سبحانه حاكياً قول إبليس لعنه الله: {لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا

(1) الآية 62 من سورة الإسراء.

عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[1].

فإبليس إنما يتوعد ذرية آدم عليه السلام بالغواية والإضلال، ولا يجرؤ على التفوه بشيء في حق آدم عليه السلام نفسه، لأنه يعلم أنه عاجز عن ذلك..

ج . قلنا إن هدف إبليس لم يكن جر آدم عليه السلام إلى الجرأة على الله، والتمرد عليه ومعصيته، لأنه كان يائساً من أن يتمكن من ذلك, بل كان إبليس يعلم أن بقاء النبي آدم وذريته في الجنة، حيث لا جوع ولا عطش، ولا عري، ولا..ولا..

سوف يصعِّب عليه الوصول إلى غاياته الخبيثة في الإضلال والإغواء..

ولأجل ذلك فقد كان هدفه الذي أعلنته الآيات الكريمة هو أن يخرج آدم عليه السلام من الجنة، ليواجه هو وذريته الجوع، والعطش، والعري، والحر، والبرد، والمرض، والصحة، والألم، والموت والحياة، والتعب والراحة، والغضب، والرضى، و.. و.. الخ.. وليحتاج الناس ـ من ثم ـ إلى الأمر والنهي، والبعث والزجر، وتكون هناك هداية وغواية، وما إلى ذلك..

فإنه إذا تم له ذلك، فسيكون قادراً على الوسوسة والإغواء، والإضلال لذريته.. ومما يشهد لذلك من الآيات الكريمة:

قوله تعالى لآدم عليه السلام: **{فَلا يُخْرِجَنكَمَا مِنَ الجِنَة فتَشْقَى}**..

وقوله: **{فَوَسْوَسَ لهمَا الشيطانُ ليبْدِيَ لهمُا ما وُورِيَ عنهمَا مِن سَوءاتِهْمِا}**..

وقوله: **{يَا بنِي آدمَ لا يفتَننكمْ الشَّيطُانِ كمَّا أَخْرجَ أبويَكم مِنَ الجنةَ ينْزِعُ**

---

(1) الآيتين 39 و 40 من سورة الحجر.

عَنهُمَا لِبَاسَهُما ليُرِيَهُما سَوءاتِهِما}..

وقوله: **{فَأَزَلَّهُمَا الشيطانُ عَنها فأخْرجَهما مِمَّا كانَا فيه}**..

وكانت النتائج أيضاً، منسجمة مع ذلك كله، وفق ما أشارت إليه الآيات السابقة وغيرها؛ ومنها قوله تعالى: **{فَأَكَلا منها فَبدَتْ لهُمَا سَوآتهُمَا}**..

إذن، فقد ظهر: أن ما فعله إبليس:

من تدليتهما بغرور.

ووسوسته لهما.

إنما كان لأجل إبداء سوءاتهما، وإخراجهما من الجنة، ومواجهة البلاء، والشقاء، لا ليتجرأ آدم عليه السلام على الله، ويهتك حجاب العبودية، ويتمرد عليه ويعصيه..

إبليس يتخفَّى:

وتذكر بعض الروايات: أن إبليس لعنه الله قد جاء لآدم عليه السلام متخفياً بين لحيي مخلوق آخر، قالت الرواية: إنه حية..

ولا عجب في ذلك، فقد كان إبليس من الجن، ولعله لم يكن ممنوعاً من الوصول إلى أمكنة قريبة من تلك الجنة، بل ربما لم يكن ممنوعاً من دخولها أيضاً، ما دام أنها جنة دنيوية، فإن هبوطه السابق، حين امتنع من السجود للنبي آدم عليه السلام، إنما كان من المقام الذي كان فيه مع الملائكة المقربين، وهو مقام كريم، لا يحق لأمثال هذا الموجود الخبيث المستكبر أن يكون فيه..

كما أن من المحتمل أن يكون الطرد الأول من نفس الجنة، والطرد الثاني تمثل بالمنع من الإقتراب منها وإن كنا نرجح المعنى الأول..

وعلى كل حال، فإن إبليس لعنه الله قد جاء إلى آدم عليه السلام وكلّمه، فسمع آدم عليه السلام صوته، ولكنه لم يعرف أنه هو ذلك الذي أخبره الله بعداوته له ولزوجه.

ولا دلالة في الآيات على أن آدم عليه السلام كان قد سمع صوت هذا العدو قبل هذا الوقت، أو اطلع على سائر خصوصياته، ومنها قدرته على التشكل بأشكال مختلفة.

الله يريد إظهار عظمة آدم (عليه السلام):

ولربما يكون السبب في أنه تعالى لم يرد أن يعرّف آدم عليه السلام بأكثر من ذلك، هو أنه يريد أن يظهر حقيقته وفضله، واستحقاقه لمقام النبوة الكريم والعظيم. فلم يطلعه على غيبه، بل تركه يواجه الأمور بقدراته الذاتية . تماماً كما كان الحال بالنسبة لموسى والخضر عليهما السلام، حيث لم يعرف الله تعالى موسى عليه السلام بالكنز الذي تحت الجدار، ولا بالملِك الذي يأخذ كل سفينة غصباً، ولا بمعاملة ذلك الغلام المجرم لأبويه.. إنه تعالى لم يعرّف موسى عليه السلام بذلك، تمهيداً لإظهار حقيقته واستحقاقه لمقام النبوة وأن يكون من أولي العزم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

هذا بالإضافة إلى ما قدمناه من أن السنة الإلهية قد قضت وجرت بأن يفسح المجال لوسائل الهداية الأخرى، لتؤدي دورها، لكي لا ينتهي الأمر بنوع من الظلم والجبر، حتى لأعدى أعداء الله من الفراعنة والجبارين، والمجرمين..

مهمات إبليس:

لقد كان إبليس يحتاج، لكي يوقع النبي آدم في ما يريد أن يوقعه به، إلى إقناعه بعدة أمور..

الأول: أن النهي ليس دائماً لأجل وجود مفسدة في المنهي عنه..

الثاني: أنه يوجد مصلحة في هذه الشجرة المنهي عنها..

الثالث: أن هذه المصلحة تهم النبي آدم بالذات، أكثر من أي شخص آخر..

الرابع: أن يثبت له: أن نهي الله عن تلك الشجرة، ليس تحريمياً، ولا إلزامياً.

الخامس: أن يثبت له: أنه ليس نهياً تنزيهياً أيضاً، بمعنى أنه يريد أن يبعده عما لا يليق به.

السادس: أن يقنعه: أن النهي ليس لأجل أنه يريد أن يعرفه أنه لا يستحق هذا المقام الذي يوصل إليه المنهي عنه، وليس أهلاً له..

السابع: عليه أن يقنعه أن النهي نهي تسهيل، وتخفيف، ومحبة، ورضى.

الثامن: أن يثبت له: أن الفائدة التي في الشجرة والتي تعود إليك تنسجم مع غاياته العظمى، وداخلة في صميمها، وليست من الفوائد الثانوية التي يمكن تأجيلها. أو الاستغناء عنها..

حوار افتراضي:

ولتبسيط الأمور وتوضيحها فإن لنا أن نفترض أن الحوار بين إبليس والنبي آدم عليه السلام، قد جاء على النحو التالي:

قال إبليس لآدم عليه السلام:

لماذا أنت في الجنة؟، وما هي اهتماماتك وطموحاتك؟

فيجيبه النبي آدم عليه السلام:

إن الجنة هي المحل المناسب الذي يحقق له طموحاته، ويوصله إلى

أهدافه، حيث يتفرغ فيها لعبادة ربه، ونيل منازل القرب والزلفى منه، وليس فيها ما يصرفه عن ذلك،ولا يحتاج إلى التفكير حتى في أبسط الأشياء، ولو في الحصول على شربة ماء، فضلاً عن أن يسعى لتحصيلها، أو حفظها، فجهده إذن متمحض في عبادة ربه، وفي الاجتهاد في الوصول إليه..

وذلك لأن: إهتمامات النبي آدم عليه السلام وطموحاته، ليست هي الحصول على الملذات والشهوات، كالطعام والشراب، وما إلى ذلك.

فيقول له إبليس:

إنه إذا كان هذا هو هدفه، فلماذا لا يأكل من هذه الشجرة؟

فيخبره آدم عليه السلام بأن ربه سبحانه قد نهاه عن الاقتراب من تلك الشجرة، فضلاً عن الأكل منها..

المبرر المعقول والمقبول:

وكان لا بد لإبليس أن يقدم حلاً مقبولاً، ومبررا ًمعقولا لًهذه المعضلة التي تواجهه..وأن يفسح المجال أمام آدم عليه السلام، ويقنعه بالإقدام على مخالفة النهي..

ولعل هذا المبرر هو أحد أمرين: أولهما: إرادة جنس الشجرة. وسيأتي.

ثانيهما: ادعاء أن نهي الله سبحانه له، إنما كان عن شخص الشجرة، لا عن جنسها. فلعل تلك الشجرة المشار إليها كانت مبغوضة لسبب يختص بها،ولا يتعداها إلى مثيلاتها..

ومن هنا يلاحظ: أن إبليس قد اختار هذا الحل بالذات،وآثر أن يذكر الشجرة أيضاً بواسطة اسم الإشارة المعين لشخصها، فقال: **{عَن تِلكُمَا الشجرَةِ}** ..إشعاراً منه بأن شخصها هو المنهي عنه، أما جنسها، فلا دليل على أنه مشمول للنهي أيضاً..

وبعبارة أخرى: إن قوله تعالى: **{وَلاَ تَقرَبَا هَذه الشجرة}** يَحتمَل أمرين:وهما النهي عن شخص المشار إليه،والآخر النهي عن سنخه،ولا شيء يدل على أن الثاني هو المتعين..

بل قد يقال: إن النهي عن الشخص هو الأقرب بقرينة التعبير باسم الإشارة الذي يشار به للشخص المعين والحاضر،

ويحتاج إلى التعيين الحسي باليد ونحوها..

فلا مانع إذن من أن يأكل من شجرة أخرى تماثل الشجرة المشار إليها، وليس في ذلك مخالفة للنهي، لأن النهي قد تعلق بتلك فقط، لا بهذه.

وقد حاول إبليس التأكيد على رجحان أحد الاحتمالين للنبي آدم بأمرين:

أحدهما: إعادة التعبير باسم الإشارة ليؤكد أن المقصود هو شخص ذلك المشار إليه..

والثاني: القسم: {وَقَاسَمَهُمَا}..

وعلى كل حال، فقد روي هذا المعنى عن الإمام الرضا عليه السلام [(1)] حسبما تقدم.

الآية لا تنافي هذه الرواية:

وهناك من يقول: إن قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ}.. ينافي الرواية المروية عن الإمام الرضا عليه السلام، فلا بد من طرح الرواية..

ووجه المنافاة، أن قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ}.. إنما يقصد به

(1) راجع: تفسير البرهان ج3 ص46 وج1 ص83 والبحار ج11 ص164 عن عيون أخبار الرضا.

الشجرة المنهي عنها، وهي المعهودة بين النبي آدم وإبليس، وهي التي أكل منها النبي آدم وحواء، لا أنهما أكلا من غيرها، كما هو صريح الرواية..

والجواب:

إن هذا لا يصح، وذلك لأن الآية قد عبرت بكلمة [الشَّجَرَة] ولم توضح هل المراد بها أيضا شخصها؟ أو المراد سنخها؟

بل قد يقال: إن قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}.. وقوله تعالى: {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}.. ظاهر في إرادة شخصها، لمكان الإشارة الحسية، وذلك يعد قرينة للنبي آدم على المطلوب، فإذا أكل من غيرها، فلا يعد مخالفاً للأمر، كما ذكرته رواية الإمام الرضا عليه السلام، وبذلك تكون الرواية منسجمة مع الآية تمام الانسجام..

بل قد يستأنس لذلك بأنه تعالى قال: {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ}.. ولم يقل: تلك الشجرة، ليفسح المجال لاحتمال كون الأكل من جنس الشجرة، وكما ذكرته الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام..

وبذلك يتضح الجواب أيضاً على السؤال عن السبب الملزم للنبي آدم لترجيح أحد الاحتمالين، فإن الجواب هو أن الملزم له هو القرينة التي ذكرناها..

التقية في رواية ابن الجهم:

وقد يقال: إن رواية ابن الجهم المروية عن الإمام الرضا عليه السلام، واردة مورد التقية، لأنها موافقة لمقالة المعتزلة، من

حيث تضمنها لفقوة تقول: إنه يجوز أن يقع من الأنبياء صغائر موهوبة قبل نزول الوحي عليهم..

ونقول:

أولاً: إنه ليس بالضرورة أن تكون جميع فقوات الرواية صالحة للاعتماد،

وقد ذكر علماؤنا أن لكل فقوة من الرواية حكمها،ولا تطوح الرواية كلها لأجل خلل في بعض فقواتها..

ثانياً: إنه صلوات الله وسلامه عليه قد قرر في الفقوة التي استدللنا بها معنى صحيحاً، ينسجم مع آيات القرآن، ولم يأت بأمر تعبدي،ولا قرر حقيقة تضر بموضوع العصمة، وليس ما قاله في هذه الفقوة متضمناً لارتكاب النبي آدم عليه السلام لصغوة موهوبة، أو غير موهوبة..

بل هو عليه السلام قد أورد احتمالات لا تأباها الآية،وهذه الاحتمالات تخوج النبي آدم عليه السلام من دائوة المخالفة إلى دائوة العمل بظهور الكلام الملقى إليه منه تعالى..

ثالثاً: من الذي قال: إن هذا المورد من موارد التقية؟!، فإن المعتولة ما كانوا يعاقبون،ولا يلاحقون خصومهم،ولا يخيفونهم، إذا قالوا بعصمة الأنبياء المطلقة.

رابعاً: لنفتوض: أن في الرواية تقية بالفعل، فلتكن هذه التقية في خصوص الفقوة التي صوحت بتجويز الصغائر الموهوبة على الأنبياء قبل نبوتهم.. دون سواها.

خامساً: قد يقال: لعل الفقوة التي توافق المعتولة، من كلام علي بن محمد الجهم، لا من كلام الإمام، لأنها كلام مستأنف لا يوتبط بما قبله، فلعل ابن الجهم قد تابع الكلام من عند نفسه، وقوَّره وفق مذهبه الذي يوتأيه..

على أن من الواضح: أن رواية مطولة قد أشير فيها إلى عدة قضايا وخصوصيات، تحتاج لضبطها إلى مزيد من الانتباه..

مع ملاحظة أن رواة هذه الرواية ممن لا يعوف عنهم كبير اهتمام بالتدقيق في نقل الكلام وفي الحفاظ على عين الألفاظ المنقولة،ولاسيما من أناس قد يهمهم تأييد نحلة أهل

الاعتوال، المؤيدة من الخليفة المأمون، ويهمهم أيضاً أن يأتي التأييد على لسان الإمام الوضا عليه السلام بالذات..

خصوصاً مع كون ذلك الوالي، وهو علي بن محمد بن الجهم، ممن لا يوى للإمام حومة، بل كان معلناً بالعداء والنصب لأهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن غوه من وواتها الذين يضعفهم علماء الوجال، مثل حمدان بن سليمان النيسابوري، أو تميم القوشي،وإن كان يمكن توثيق هذا الأخير..

اجتهاد النبي آدم (عليه السلام):

إن هناك من يويد أن يقول: إن النبي آدم قد اجتهد فأخطأ، وللمجتهد أجر واحد، وكان أجوه هو الاجتباء الإلهي الذي حصل عليه..

واجتهاده عليه السلام يتمثل في توجيحه كون المنهي عنه هو شخص الشجرة لا سنخها، وقد أخطأ في توجيحه هذا، ثم أكل منها بعد وسوسة الشيطان له، وبعد تصديقه في قسمه، كما بينته رواية الإمام الرضا عليه السلام..

وهذا هو نفس ما يقوله المعتزلة من اجتهاد النبي آدم في المراد من الشجرة، وفي استجابته لتدليس إبليس..

ونقول:

إننا نعود فنكرر رفضنا لهذا الكلام، وذلك للأمور التالية:

أولاً: إن النبي آدم عليه السلام لم يجتهد، بل أخذ بالظهورات الواجب عليه الأخذ بها، إذ إن هناك إشارة حسية إلى شخص شجرة بعينها، وليس ثمة ما يدل على إرادة ما عداها، فلم يكن هناك أي مانع من الأكل مما يسانخها، وليس هذا من قبيل الاجتهاد، بل هو أخذ بظاهر الكلام..

ثانياً: إن النبي آدم لم يخطئ في التطبيق أيضاً، بل عمل أولاً بمقتضى ما

حملته له قوالب الألفاظ من أوامر أو نواهي إلهية.. وطبقها هو حرفياً..

وتوجيحه لأحد الاحتمالين، إنما هو بالاستناد إلى الحجج، والدلائل، والوسائل التي جعلها الله تعالى له، والتي لو لم يأخذ بها، لكان مؤاخذاً عند الله، ولربما استحق الحرمان من بعض الحقوق، ومن هذه الوسائل والدلائل: القسم، ومنها الإشارة الحسية، فإذا كان هناك خطأ في التوجيح، فليس هو خطأ النبي آدم، وإنما هو خطأ الوسيلة المطالب بالعمل بها..

تماماً كما تخطئ البينة في إثبات الحق لفلان من الناس، وفي حرمانه منه..

ثالثاً: إن مقولة: إذا أصاب المجتهد فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، ليس لها أصل، وإنما هي من روايات غير الشيعة، وقد تحدثنا عن ذلك في كتابنا [مأساة الزهراء] وغيره..

رابعاً: قول المعتزلة إن النبي آدم عليه السلام قد اجتهد وأخطأ في التطبيق، معناه أن النبي آدم لم يذنب، لكي يهبه الله عقوبة ذنبه.

والقول بأنه قد ارتكب ذنباً صغيراً موهوباً، معناه أنه لم يجتهد، بل هو قد تعمد المجرأة على الله وهتك حرمته.. فلماذا يهبه الله، ولماذا يعفو عنه؟!

وكونه موهوباً معناه ثبوت العقوبة، ثم العفو عنها، فما معنى قولهم بثبوت المثوبة على ذنب صغير إلى حد نيل درجة الإجتباء والاصطفاء؟!..

وكيف يمكن الجمع بين الاجتهاد، وبين كونه ذنباً؟!، ثم الجمع بين كونه قد وهبت عقوبته، وبين إعطاء المثوبة عليه؟!.

خامساً: إن الاجتهاد الذي مارسه النبي آدم إنما هو في تعيين المنهي عنه، فإذا أخطأ في معرفة المراد، فلماذا يعاقب؟!..

وموضع وسوسة الشيطان هو بيان سر النهي، وقد سد الطريق على النبي

آدم بالقسم الذي كان النبي آدم مكلفاً بالعمل بمقتضاه، فأين الخطأ من النبي آدم؟! وأين الاجتهاد؟!.. وأين الذنب؟!.. وأين هبة عقوبته؟!..

قيمة رواية ابن الجهم:

ثم إن البعض يطرح سؤالاً هو: مَنْ من عُلمائنا الأبرار تمسك برواية ابن الجهم عن الإمام الرضا عليه السلام، لتفسير القرآن الكريم؟!..

وكيف يمكن التمسك بها لصرف القرآن عن ظاهره، مع الاعتراف بضعف سندها؟!..

ونقول:

إنه بغض النظر عن أن ضعف سند الرواية لا يعني أنها مكذوبة، لا بد من ملاحظة ما يلي:

أولاً: إن هذه الرواية ليست هي المستند لصرف القرآن عن ظاهره، بل المراد بالآية القرآنية، ظاهر من خلال ظواهر كلماتها، وسياقها، وغير ذلك من اعتبارات، وإنما أوردنا الرواية المشار إليها للتأييد والاستيناس، والتأكيد على الظهور، لا للاستدلال، وصرف الظاهر عن ظهوره إلى معنى غريب عن مسار الكلام..

ثانياً: إن عدم تمسك علمائنا الأبرار بهذه الرواية لا يعني سقوطها، وفساد الاستدلال بمضمونها، أو عدم صحة الاستشهاد أو الاستئناس والتأييد بها..

رواية أخرى تطرح حلاً آخر للإشكال:

بل لقد روي: أن إبليس لعنه الله قد ادعى للنبي آدم عليه السلام: أن الله تعالى قد أحلّ له الأكل من الشجرة، بعد أن كان قد نهاه عنها، وجعل علامة صحة قوله هذا:

أن الملائكة الموكلين بها سوف لا يمنعونه من الاقتراب منها..

مع أن سبب عدم منعهم له ليس هو الإحلال بعد المنع، وإنما هو لأنهم لا يمنعون من يملك عقلاً واختياراً [1].

الجمع بين الروايتين:

ويمكن أن يقال: إنه لايوجد مشكلة بين الروايتين، فإن الرواية الثانية قد تكون ناظرة إلى النهي والمنع عن جنس الشجرة، وأن الملائكة لا يمنعون من الإقدام على الأكل من شجرة أخرى مشابهة للمنهي عنها، بحجة: أنها قد أحلت له، من حيث إنه لا يوجد نهي عنها، بعد أن حرمت عليه الشجرة الخاصة، وإن كانت مجانسة لها.

وعلى كل حال، فإن الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام، وكذلك هذه الرواية، إنما نسوقهما للتأييد والاستئناس، لا للاستدلال، وقد أوضحنا أن رواية ابن الجهم ظاهرة الإنسجام مع السياق البياني للآيات.

وأما الرواية الأخرى فان أمكن الجمع بينها وبين رواية الإمام الرضا عليه السلام، فبها.. وإلا، فإننا نكل علمها إلى أهلها..

إن صح صدورها عنهم عليهم السلام.

عود على بدء:

قلنا فيما تقدم: إن إبليس قد اعتمد في محاولاته إقناع النبي آدم بالأكل من الشجرة، على مجموعة ادعاءات:

منها: ادعاء أن في هذا الجنس من الأشجار خصوصيات مهمة، لو حصل

(1) راجع: تفسير الإمام العسكري ص222 و223 وتفسير البرهان ج1 ص80 والبحار ج11 ص190 و191 ومستدرك الوسائل ج2 ص286.

عليها آدم عليه السلام، فإنه يحقق أقصى ما يتمناه.

ومنها: ادعاء أن الله سبحانه لم ينه آدم عليه السلام عن الشجرة من أجل أنه رآه لا يستحق هذه المقامات السامية.

ومنها: ادعاء أن نهيه له ليس نهي تحريم ومنع،ولا يكشف عن مبغوضية منه تعالى للمنهي عنه، كما أنه ليس نهي تنزيه..

ومنها: أن يدعي له أخراً أن هذا النهي لا يدل على وجود مضرة في المنهي عنه، بل هو نهي تخفيف ورفق، من حيث أن الأكل من الشجرة وإن كان يوصله إلى ما يتمناه، ولكنه يكلفه غالياً، وغالياً جداً.

أمثلة للتوضيح:

ويمكن تقريب هذا الأمر بالأمثلة التالية:

إن سياق هذا النهي سياق نهي والد لولده عن الهجرة إلى بعض البلاد لطلب الرزق.. مع أنه يحصل على ما يكفيه من دون هجرة، فيقول له أبوه: إن بقاءك لا يضر بحالك،ولا ينقص من سعادتك، لأنك تحصل على ما يكفيك، فسفرك وإن كان يفيد في تحصيل أموال أكثر، ولكنه محفوف بالمخاطر، وفيه متاعب ومشقات كبيرة وسهر ليالي، وتحميل للنفس ما لا تطيقها..

وهذا معناه أنه لا ينهى ولده عن السفر لأجل أن في السفر مفسدة، أو لأجل أنه ليس أهلاً لتلك الأموال التي يمكن أن يحصل عليها، وليس نهيه له نهياً تحريمياً،ولا هو تنزيهي، بل هو إشفاقي، تسهيلي.. تماماً على حد قوله تعالى: **{طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}**[1]..

ومثال آخر نسوقه هنا هو: لو أن إنساناً كان وجهه على درجة مقبولة، من

(1) الآيتين1 و2 من سورة طه.

الجمال.. ولكنه لم يقتنع بذلك فأراد أن يزيد بهاء وجمالاً بواسطة إجراء عملية جراحية تجميلية.

فقد ينهاه أبوه عن ذلك، لأن التكاليف باهظة،ولأنه يعرض نفسه بذلك إلى آلام الجراحة،وإلى مرارة الأدوية، ووخز الإبر، والقعود عن العمل أياماً..

ولكنه لو أقدم على ذلك، فسيحصل على نسبة جمالية كان يتمناها،ولا يرفض أبوه حصولها له، كما أن الله سبحانه يسهل له الأمور، ويعفيه من الوضوء، وينقله إلى التيمم، ويقبل منه الصلاة من جلوس،ولا يلزمه بإزالة دم الجروح والقروح في حالات معينة، وما إلى ذلك..

والحال بالنسبة لآدم عليه السلام النبي الكامل، الذي يسعى للحصول على المزيد من الكمالات والقربات هو ذاك، فإنه إذا بلغ درجة الكمال، وهي درجة المئة مثلاً .وأراد أن ينال الدرجات التي بعدها، ورأى أن ذلك في حدود الميسور المقدور، فسوف يحمل نفسه أعظم المشاق في سبيل ذلك. ولن يرضى بالجمود والركود، بل سيكون حاله حال النبي إبراهيم عليه السلام الذي بلغ اليقين في إيمانه، أراد أن يحصل على درجات أعلى وأعلى، فيصل مثلاً إلى درجة علم اليقين، وعين اليقين، وذلك هو قوله تعالى: **{قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}**[1].

(1) الآية 260 من سورة البقرة.

الفصل الخامس:

وسائل الإقناع..

العروض الإبليسية:

والأمور التي حاول إبليس أن يغوي آدم عليه السلام بها **{فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ}** هي:

[أن الأكل من الشجرة يحقق له أموراً ثلاثة، تهمه جداً.. أشار إليها تعالى بقوله: **{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى}**..

وبقوله: **{مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}**..

وهذه الأمور الثلاثة هي التي تحل المشكلات الثمانية التي كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن إبليس كان بحاجة للتغلب عليها، وتجاوزها..

فالأمور التي ركز عليها إبليس هي التالية:

1 . النبي آدم (عليه السلام).. والملك:

فأما بالنسبة للملك، فنقول: كأن إبليس لعنه الله قد قال لآدم: لو أكلت من هذه الشجرة سواء أكلت من شخصها أو من جنسها، فإن ذلك لا يضرك، بل إن الله سيؤتيك ملكاً، ولكن لا لأجل إرضاء شهوة السلطة، والقوة، والنفوذ عندك.. لأنه يعلم أنك لا تعيش هذا الجو، ولا تهتم لمثل هذه الامور، بل لكي تتهيأ لك الفرص المتنوعة، وتتفتح لك أبواب الطاعات المختلفة، حيث تملك الكثير من وسائل القربات التي تمكنك من الحصول على المزيد من درجات

القرب والرضا، فإن لكل طاعة درجاتها التي تناسبها، ومقاماتها التي تلائمها.

ولا تحتاج في حصولك على هذه الوسائل الى بذل أي جهد يصرفك عن الاستغراق في الله والانهماك فيما يرضيه.

فالمال الكثير يمكن أن يفتح لك أبواباً كثيرة من القربات المتنوعة التي قد لا تتيسر لك بدونه فإنه: نعم المال الصالح للرجل الصالح [1]، كالصدقات، وبناء المدارس وتمهيد المسالك، وإنشاء المعابر والجسور، وتشييد المساجد، وطباعة المرضى، وغير ذلك مما يتعذر عدّه وحصره..

والجاه العريض يسهل لك الحصول على طاعات وقربات متنوعة أخرى، فإنك بواسطة نفوذك، وموقعك، وجاهك، تستطيع أن تقضي حاجات كثيرة جداً للمؤمنين لدى أهل الجاه والقوة والنفوذ، وتأمر بمعونتهم، وتعمل على إيجاد المرافق التي تحفظ لهم بها عزتهم، وكرامتهم، وسؤددهم..

وبواسطة قوتك، وجندك، وأعوانك، تتمكن من أن تحفظ للناس أمنهم، وتدفع عنهم الأشرار، وتكبت عدوّهم، وتقيم العدل فيما استخلفك الله تعالى فيه.

فالملك إذن يفتح أمامك الكثير من الأبواب، ويهيىء لك الكثير من الوسائل، وبدونه، فإنك لا تستطيع أن تمارس إلا أنواعاً محدودة من الطاعات، كالصلاة، والصوم، والاستغفار، ونحو ذلك..

2 . لا يبلى:

وهل يستطيع إنسان هو في مستوى نبي أن يتجاهل هذه الحقيقة، فيؤثر لذّة عارضة على هذه النعمة العظيمة الباقية، أم أن عليه أن يندفع لنيل أمر

---

(1) راجع: تنبيه الخواطر ص128.

كهذا، ويعمل ما بوسعه للحصول على مثل هذه الوسائل والقوات؟ خصوصاً إذا عرف أنها ليست مما يضعف أو يتلاشى، ولا هي من الأمور العارضة، بل هي سوف تبقى وتستمر بنفس القوة، وبنفس الفاعلية والتأثير..

وهو ما أشير إليه في قوله تعالى: **{لا يَبلَى}** .. أي لا يتأثر بتقادم الزمن، ومر الدهور، فلا يصاب بالوهن، ولا يتعرض للتلاشي..

نعم.. إن من يؤثر لذة عارضة على نيل مقامات القرب والزلفى من الله:

إما أنه يعاني من خلل في إدراكه!.

أو من نقص في حكمته وتدبره!.

أو من عدم وضوح في الرؤية لديه!.

أو من نقص في إيمانه!.

وبكلمة واحدة: إنه يعاني من اختلال في حالة التوازن في شخصيته.

وليس ذلك هو النبي آدم عليه السلام، بل النبي آدم هو الإنسان الكامل في مختلف مزاياه، فلا يمكن أن يختار إلا ما يساوي

كماله هذا..

وإلا لأصبح الناس العاديون جداً أقرب إلى رضا الله منه عليه السلام، إذ ما أكثر الذين يندفعون للتضحية بكل ما يملكون، وحتى بأنفسهم . فضلاً عن التخلي عن ملذاتهم، في سبيل مبادئهم العليا، وأهدافهم السامية.

3 . الملائكة:

وقال إبليس لعنه الله: للنبي آدم عليه السلام أيضاً: إن فائدة الأكل من الشجرة هي أن يصبح تكوينك يا آدم مسانخاً لتكوين الملائكة، حيث تُستأصَلَ من داخلك ميولك وغرائزك، ليكون الخير طبيعتك وسجيتك، فلا شهوات لديك، ولا غرائز عندك، تعيقك عن السعي نحو ما تطمح إليه من

حيث أنها تخلق لك حاجات تحتاج معها إلى بذل جهد للحصول على ما يلبّيها من الحلال الطيب..

بل إنك حين تصبح من سنخ الملائكة، لا يبقى لديك حاجة إلى طعام أو شراب، ولا إلى ما يكنّك من الحر والبرد، وما إلى ذلك.. فليس لديك ما له أدنى أثر في صرفك عن اهتماماتك، أو يؤثر في وهن عزيمتك، فتكون خالصة لله سبحانه، ولله وحده.

4 . الخلود في طاعة الله:

وكان قد قال لآدم عليه السلام أيضاً: إن طموحك يا آدم (عليه السلام) هو أن يكون عمرك مديداً ومديداً جداً، ولكن لا لتستفيد من لذائذ الحياة الدنيا ونعمها، بل أنت تفكر بخلد يتناسب مع طموحاتك كإنسان طاهر ونبيل، ومن حيث إنك صفوة الله، ليس فيك أية شائبة لسواه، فأنت تطمح لخلد يهيء لك الفرصة لطاعة الله، والتقرب إليه، وتصرف عمرك كله في الطاعة وفي العبادة..

إنك لا تريد الخلود كراهة منك للموت، أو استجابة لشهوة حب البقاء، أو نحو ذلك، وإنما تريد الخلود ليمكنك الاستمرار والبقاء في طاعة الله سبحانه من موقع القوة والاقتدار على صنوف الطاعات، ومن موقع الغنى، فتصل بعبادتك وجهادك إلى مقام بعد مقام، فلا يدفعك جوع، أو عطش، أو حر، أو برد، أو عدو، أو مرض، أو نحو ذلك إلى تلمُّس ما يدفع ذلك عنك، مما قد يبطيء حركتك باتجاه هدفك السامي.

والشاهد على أن هذا هو طموح النبي آدم عليه السلام هو سعيه لنيل صفة الملائكية التي تعني التخلص من الغرائز والمؤثرات، والشهوات، والصوارف، التي يحتاج إلى بذل جهد في مدافعتها، وإبطال تأثيرها..

وهذه هي أمنية كل مؤمن حسب ما جاء في الأدعية الشريفة الواردة عن الأئمة (عليهم السلام).

فهذه العروض التي وضعها إبليس أمام النبي آدم عليه السلام، تنسجم مع أهدافه التي يرى نفسه ملزماً بالسعي إليها، والحصول عليها..

فإنها كما قد يقال: لكن قوله: **{مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ}** .. إشارة إلى أن الله لا يريد لكما ذلك،

فكيف يطلب النبي آدم عليه السلام ويسعى وراء أمر لا يريده الله له؟!

وقد يجاب: أن عدم إرادة الله له ذلك، ليس لحرمته عليه، بل لأنه لا يريد له ذلك. لما فيه من الشقاء والتعب، والعيش الضنك، ولكن إذا اختار هو تحمل ذلك، فسيكون من المفلحين..

التوديد في عروض إبليس، لماذا؟.

أما التوديد الذي ظهر في كلام إبليس، حين قال: {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}..

فإنه لم يرد في سياق التشكيك فيما سيحصل عليه، بل جاء على سبيل منع الخلو، ليكون المعنى: أنه إذا أكل من الشجرة فسيحصل على شيء هام جداً، بحيث لا يخلو من أحد هذين الأمرين على أقل تقدير، هذا إن لم يحصل عليهما معاً.

أي أن يكون التوديد هو في متعلق النهي، بمعنى أن الشجرة جامعة للوصفين معاً، لكن إبليس زعم أنه لا يدري أي الوصفين كان سبب نهي الله له عنها، هل هو هذا الوصف؟ أو ذاك الوصف؟.

أو أنه لا يدري: هل الوصفان معاً موجودان في الشجرة؟!، أو الموجود هو أحدهما؟!..

اندفاع آدم (عليه السلام) طبيعي:

وقد عبر الله سبحانه عن هذه الطريقة الالتفافية، وهذا التمويه للأمور، بأنه تدلية تزة. أي تقريب وإيصال، وبأنه وسوسة أخرى. وهي إلقاء الكلام من طرف خفي.. وكلا الأمرين حاصل في المورد..

وقد حاول إبليس أن يخبر آدم عليه السلام بأمور تفوض عليه أن يندفع للأكل من الشجرة، وكأنه لا يشعر بأن أحداً يطلب منه ذلك أو يدفعه إليه، خصوصاً إذا لاحظنا الرواية التي تحدثت عن تخفي إبليس بين لحيي حية، وما أخبره به من عدم منع الملائكة له، فيما لو اقترب إليها، كما تقدم.

لو لم يأكل من الشجرة لاستحق الطرد الإلهي:

وبعد هذا الذي قدمناه، فإنه لا يمكن للنبي آدم عليه السلام أن يقف من هذا الأمر موقف اللامبالاة، فضلاً عن أن يرفضه ويأبى بنفسه عنه، ما دام أن ذلك يدخل في سياق أهدافه، ويجسد له طموحاته النبيلة والصالحة، كأفضل وأتم وأعلى ما يكون التجسيد. فقد أصبح ملزماً بملاحقة حتى الاحتمال مهما كان ضعيفاً وموهوناً.. لأنه كان على استعداد للتضحية بكل غال ونفيس من أجل الوصول إلى تلك الأهداف السامية..

ولو أنه قصر في طلب هذا الأمر، وفي التحقق منه، لزال استحقاقه لمقام النبوة، ولم يعد أهلاً لمواقع القرب والرضا والزلفى.. بل كان مستحقاً للطرد والإبعاد عن رحمة الله سبحانه، ومن الجنة بصورة قاسية ومهينة، لأن ذلك معناه أنه يؤثر الخلود إلى الأرض، والاستجابة إلى شهواته ونزواته على رضا الله تعالى، وعلى مواقع الكرامة والزلفى منه جلّ وعلا..

إحتياطات ضرورية:

ولكن كان على النبي آدم أن يحتاط لنفسه، فيختار الأكل من سنخ

الشجرة، لا من شخص المنهي عنه، ليكون بذلك قد امتثل النهي الإلهي تأدباً مع الله سبحانه، ثم احتاط لنفسه بمقاسمة إبليس على صحة ما يدعيه..

المقاسمة تفوض الأكل من الشجرة

فقد كان من الطبيعي: أن يلاحق النبي آدم عليه السلام هذه الاحتمالات، ويسعى لتأكيدها، ولو عن طريق فوض القسم على إبليس لعنه الله. وإخراج الأمر من يده ليصبح في عهدة الله تعالى، ليكون هو الكافل والضامن..

هذا وقد أشارت كلمة [قاسمهما] التي هي مثل ضارب في الدلالة على صدور الفعل من الطرفين، إلى وجود قسَمين: أحدهما، من آدم عليه السلام وزوجه. والآخر، من إبليس لعنه الله.

لقد كان على آدم عليه السلام الإنسان الكامل أن يسعى للتأكد من صحة الاحتمال الذي ذكره له مخاطبه، لأنه مهم جداً ومصيري بالنسبة إليه، لانسجامه مع حبه لله تعالى، ومع سعيه لنيل مقامات القرب والكرامة منه عز وجل. وإن أي تقصير في هذا الأمر سوف يلحق به أعظم الضرر، ويوقعه في أشد خطر..

وكان طريقه الوحيد لضمان الصدق, ولتحصيل الرجحان، هو أن يسوق من يخاطبه بهذه الأمور إلى القسم. ففعل ذلك، متشدداً معه غاية التشدد، حيث لم يكتف بطلب القسم منه، بل أقسم هو عليه أن يصدقه القول أيضاً، وكان المفروض بالطرف الآخر، أن يبرّ بقسمه؛ فكيف إذا زاد على ذلك بأن أكد قوله بقسم جديد على أنه ناصح وصادق؟! [1].

(1) وقد يقال: إن صيغة فاعل لا تقتضي صدور الفعل من الطرفين. بل هي تدل فقط على وجود طرفين لهما نوع ارتباط بالفعل، ولا يشترط صدور الفعل بتمامه من كل واحد منهما. وقد يؤيد ذلك مثال: عادى زيد عمراً، وسامى زيد بكراً، وخاتله وعامل زيد فلاناً معاملة حسنة ونحو ذلك.. وهو كلام صحيح في نفسه، ولكن الأمر بالنسبة لآدم (عليه السلام) كان يحتاج إلى المزيد من التأكيد والتحرز والاحتياط. وما ذكرناه قد يكون هو الأولى والأنسب من هذه الناحية.. والله هو العالم..

وبذلك يكون إبليس لعنه الله قد وقع في مخالفتين:

إحداهما: أنه لم يبرّ بقسم آدم عليه السلام، كما هو المفروض.

الثانية: أنه كذب عليه حين أقسم له أنه ناصح، وليس هو كذلك.

فكان من الصعب على آدم عليه السلام. والحالة هذه. تصور الإقدام على هتك حرمة القوة الإلهية مرتين: مرة حين لم يبر بقسمه. ومرة أخرى حين أقسم على ما ادعاه من النصح والصدق.

بل إنه حتى لو كانت المقاسمة من طرف إبليس، فإن نفس المبادرة إلى القسم تفيد هذا التأكيد المطلوب..

وذلك لأن معنى القسم منهما هو التجاء الطرفين إلى الله سبحانه ليكون هو الكفيل والضامن للصدق، بحيث يجعل الأمر في

عهدة الغوة الإلهية، ويكون التفويط فيه هتكاً لحرمته تعالى، وتعدياً عليه، وخروجاً عن زي العبودية والانقياد له سبحانه.

وسيكون الله عز وجل هو الذي يتولى معاقبة من يعتدي على مقام جلاله وعزته، ويهتك حجابه وحرمته.

ويشهد لذلك أن الحلف بيمين الواءة يستتبع معاجلة الله تعالى، الحالف الكاذب بالعقوبة، فلا يقدم المذنبون على هذا اليمين، بل هم يمتنعون منه، خشية من ذلك، بل يمتنع من الإقدام عليه حتى الذين يعوفون من أنفسهم الواءة والصدق.

وهذا ما يفسر لنا سبب القضاء بالأيمان، بعد فقدان البينات في الإسلام؛ فإن ذلك يعني إخواج الأمر من عهدة الحالف، ليجعله في عهدة الله وفي ضمانه، فإن كان ثمة من تعد وجوأة واغتصاب حق، فإن الله سبحانه. هو الذي يتولى قصاص من يفعل ذلك.

وعلى كل حال، فقد جاء عن الإمام الوضا عليه السلام ما يشير إلى ذلك، فقد روي أنه قال:

[فأكلا منها ثقة بيمينه] [1].

الشيطان أم إبليس:

وحول سؤال: كيف يثق النبي آدم بقسم إبليس، مع أن الله تعالى قد حذوه منه، نقول:

أولاً: إنه ليس بالضرورة أن يكون النبي آدم عليه السلام عارفاً بحقيقة إبليس، وبأنه هو الذي كان يخاطبه، خصوصاً مع محاولة التخفي التي مارسها إبليس، كما ألمحت إليه الوايات..

ثانياً: إنه يلاحظ: أن الآيات التي تحدثت عن تعويف الله تعالى للنبي آدم بعدوٍّ قد ذكوت اسم [إبليس]، ولكن جميع الآيات التي تحدثت عن موضوع الأكل من الشجوة إنما ذكوت كلمة [الشيطان]،رغم أن بعض الآيات متصل بالبعض الآخر، كما في سوورة طه. فواجعها..

وهذا يثير احتمال أن يكون إبليس قد توسل ببعض جنوده الذي ربما لم

(1) تفسير البرهان ج3 ص46 وج1 ص83 و81 والبحار ج11 ص64 و161 و163 و188 و206 وفي هامشه عن عيون أخبار الرضا ص108 و109 وعلل الشرائع ص48 والكافي ج1 ص215.

يكن قدرآه النبي آدم أصلاً. أو أن ذلك يشير إلى صحة ما قدمناه آنفاً من تخفي إبليس عن النبي آدم، لكي لا يعوفه..

ثالثاً: إن القَسَمَ يخوج الأمر من عهدة المقسم، ويجعله في عهدة غوه، فإذا كان الله هو الذي سوف يكون المطالب، وهو الذي يتولى الأمر، ويكون الكفيل والضامن، فإن النبي آدم يكون بريئاً من أي مسؤولية، وبعيداً عن أي مؤاخذة..

لو لم يأكل آدم (عليه السلام) من الشجوة!!

وبعد تلك الأقوال التي أكدها إبليس لعنه الله بهذا القسم، وبعد مشاهدة النبي آدم آثاراً تدل على أن للشجوة خصوصية هامة جداً من حيث إرتباطها بموجودات عالية، كما سنشير إليه..

وأيضاً، بعد أن كانت الإشارة بكلمة [هَذِهِ] ترجح له:

أن المنهي عنه هو خصوص الشجرة التي أشير إليها إشارة حسية دون سواها، نعم، بعد ذلك كله، فإن النبي آدم عليه السلام يجد نفسه . بحكم مبادئه . ملزماً بالأكل من الشجرة، وبتصديق ما قيل له. حتى لو كان القائل هو عدوه، فإن الخصماء قد يكذب بعضهم بعضاً، ثم يلجأون للقسم ويرضون به، ويلتزمون هم، ويلزمهم الآخرون بمقتضاه..

ولو أن آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة بعد هذا القسم فسيجد نفسه:

إما مستهيناً بالله سبحانه، وبقدرته على ضمان ما جعل في عهدته.

وإما غير مبال بنيل ما يطمح إليه، ويسعى للحصول عليه من مقامات القرب والزلفى عنده سبحانه.

وكلاهما مرفوض جملة وتفصيلاً..

وقد قدمنا: أن ثمة رواية تقول: إن إبليس لعنه الله قد قال لآدم عليه السلام:

إن الله سبحانه قد أحل له تلك الشجرة بعد تحريمها عليه، وجعل له علامة على صحة قوله:

إن الملائكة الموكلين بالشجرة لا يدفعونه عنها كما يدفعون غيره، فأكلا منها، ولم تدفعهما الملائكة عنها؛ لأنهم كانوا موكلين بدفع من لا يملك اختياراً وعقلاً [(1)].

وقد قدمنا في بعض الهوامش السابقة أيضاً بعض ما يرتبط بهذه الرواية، فلا نعيد..

اللحظة الفاصلة:

وأكل آدم وزوجه عليهما السلام من الشجرة، فوجدا أنفسهما في الموقع الصعب، وبدت لهما سوءاتهما، وهي مزاياهما البشرية، التي كانت قد سترت عنهما، وكان لها فيهما نوع كمون، واختزان.

وكان ظهور السوءات يتمثل بظهور أعراض البشرية على آدم عليه السلام، حيث صار بحاجة إلى ما يحتاج إليه البشر، من الغذاء، والدواء، والساتر، وأصبح يخاف، ويحزن، ويعرق، ويمتخط، ويبول، ويمرض، ويتألم، ويحتاج إلى ما يقي من الحر والبرد، وما إلى ذلك..

ولن يجد في تلك الجنة ما يفيده في دفع ذلك كله، فكان لا بد له من الهبوط منها إلى مكان آخر، يوفر له ما يعيد هذه الخفايا إلى ما كانت عليه

(1) تفسير الإمام العسكري ص222 و223 وتفسير البرهان ج1 ص80 والبحار ج11 ص190 و191 وراجع: تعليق المجلسي ص193 ومستدرك الوسائل ج2 ص286.

من حالة الكمون والخفاء والاختزان، ولو بمقدار ما.

وإذا به يرى رحمات ربه تفيض عليه، ويباره الله بجائزة سنية عظيمة، قبل أن ينبس ببنت شفة، كما سنرى في الفصل

التالي، إن شاء الله تعالى..

الفصل السادس:

أباطيل.. وأقاويل..

لا يوجد سوء ظن بالله:

وبعد البيان الذي قدمناه، فإنه لا يبقى محل للتساؤلات التي قد تثار، من أنه كيف يصدق النبي آدم إبليس، مع أن تصديقه له معناه سوء الظن بالله، وترك التسليم له تعالى، واعتقادهما بنصح إبليس، يستلزم الاعتقاد بأن الله قد غشهما، ونجح مخطط إبليس..

نعم، لا يبقى مجال لهذا: فقد قدمنا:

أولاً: إنه ليس ثمة ما يدل على معرفتهما بأن نفس هذا الذي يخاطبهما هو نفس ذلك الذي حذرهما الله منه.. وذلك لإمكان أن يكون إبليس نجح في التخفي عنهما، والظهور بصورة تختلف عن صورته التي كان عليها حين التحذير، كما أشارت إليه بعض الروايات..

بل قد أشرنا إلى أن من المحتمل أن يكون إبليس قد كادهما بأحد جنوده، وربما يؤيد ذلك: أنه لا يوجد في جميع الآيات أي تصريح باسم إبليس، بل التعبير في الجميع، هو بكلمة [الشيطان]. ويصح نسبة فعل ذلك الشيطان إلى إبليس أيضاً، لأنه هو الموجه والمدبر..

ثانياً: إنه إنما يلزم من تصديق إبليس سوء الظن بالله، واعتقاد الغش فيه والعياذ بالله، لو كان الأمر دائراً بين النفي والإثبات، بأن يكون النبي آدم قد ناقض أمر الله تعالى بحرفيته، وبعمق مضمونه..

أما إذا تكونت قناعة تقول: إن النواهي الإلهية قد تكون إرشادية، وقد

تكون لأجل التسهيل، والتخفيف..

ثم رجح الاحتمال الثاني بالقسم.. الذي يؤكد على أن النهي الإلهي كان متوجهاً إلى شخص الشجرة..

ثم أيدت ذلك القرينة الكلامية، وهي استخدام اسم الإشارة الذي يحتاج إلى الإشارة الحسية لشخص شجرة محددة، حيث قال: {وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}..

ثم ظهر أن للشجرة ارتباطاً بموجودات عالية، وسامية المقام كما سيتضح..

نعم.. إذا اجتمعت كل هذه القرائن، والأحوال، فإن الإقدام على الأكل من سنخ الشجرة، مراعاة للأدب مع الله، بملاحظة ظاهر نهيه من جهة، واحتياطاً لنفسه من أن يكون من المفرطين بدرجات القرب من الله من جهة أخرى، لا يعني أن ثمة اعتقاداً لدى النبي آدم عليه السلام، بأن الله غاش .والعياذ بالله .وإبليس ناصح...

ثالثاً: إن البيان الذي ذكرناه، والقرائن التي ألمحنا إليها، تشير إلى أن النبي آدم قد فهم من خلال القرائن أن ما يفعله ليس فقط لا يعد مخالفة لأمر الله، بل هو عين الثقة بالله، والطاعة والانقياد له تعالى، بل هو من أعظم مظاهر التضحية والفداء في سبيل رضاه، وأصبح يرى نفسه ملزماً به، منقاداً له..

رابعاً: إنه قد ظهر من البيان الذي قدمناه: أن النبي آدم لم يطع إبليس، ولا صدقه، بل هو قد سعى لفهم مراد الله تعالى.. وأقدم على الأكل من الشجرة عن قناعة تكونت لديه، من خلال وسائل إثبات بيانية، لا عن طاعة عمياء لإبليس..

وقد قلنا: إن القرائن المتقدمة، ومنها الإشارة الحسية لشخص الشجرة

والقسم، قد حصرت خيار النبي آدم في خصوص الأكل من الشجرة، ليخرج بذلك من دائرة التفريط في جنب الله والإستخفاف بعظمة الله، وكبريائه، فيما لو تجاهل القسم..

وذلك اعتماداً منه على الوسائل التي يجب عليه أن يتوسل بها، فعدم امتثال النهي عن الشجرة، ليس على سبيل التمرد عليه تعالى، بل على سبيل الفناء في الطاعة له تعالى، التي استحق بها مقام الاصطفاء والاجتباء..

وهذا نظير من نهاه والده عن أمر، لأنه يعلم بأنه يعجز عنه، فظن أنه نهاه شفقة عليه، وأنه لو عمله، فسوف ينال عظيم الرضا منه، فبادر إليه، فظهر له أنه عاجز، وعرف سبب نهي أبيه له، ولكن عجزه هذا أوجب له ضرراً جسدياً مثلاً..

فإذا خاطبه أبوه بما يوافق علمه الواقعي، فإن ذلك لا يجعل الولد عاصياً في الواقع، بل هو مطيع (في صورة عاص) وهو بار بوالده غاية البر، رغم نهي والده له، ورغم مخالفته هو للنهي..

خامساً: إن إبليس لم يطلب من النبي آدم عليه السلام وزوجه ترك التسليم لأمر الله تعالى، والتمرد عليه، بل دعاهما لتحمل المشاق في سبيل رضاه تعالى.. وقد كان يهدف إلى أن إيقاع النبي آدم بالبلاء الدنيوي كالجوع، والعري، والحر، والبرد، وغير ذلك. تماماً كما جرى للنبي أيوب، ولم يكن يريد أن يضله، لأن إبليس يعلم أنه لو طلب من النبي آدم عليه السلام التمرد على الله تعالى، فسوف لن يطيعه عليه السلام..

وقد انقلب السحر على الساحر، فبدلاً من أن ينحط مقام النبي آدم ويتعب، فإن الله تعالى قد جمعه إليه، ورفع درجته، وأغدق عظيم ألطافه عليه..

نجاح مخطط إبليس:

وأما الحديث عن أن مخطط إبليس قد نجح، حيث خالف النبي آدم النهي المتوجه إليه.. فهو غير صحيح، فإن ما جرى إنما كان نجاحاً للنبي آدم كأعظم ما يكون النجاح، حتى استحق مقام الإجتباء الإلهي..

ولعلك تقول: كيف يكون النبي آدم عليه السلام هو الناجح؟!.. ونحن نرى:

1 . أنه عليه السلام قد أهبط من الجنة: [اهْبِطَا]، و[اهبطُوا]..

2 . أنه قد عوتب من قبل الله على أكله من الشجرة، قال تعالى: {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}..

3 . أنه عوتب على إطاعة إبليس: {وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}..

ونقول في الجواب:

أولاً: لو كان ما عمله النبي آدم عليه السلام أمراً مرجوحاً، لم يستحق جائزة عليه، بحيث يمنحه الله تعالى مقام الاجتباء والاصطفاء مباشرة، والذي ذكر في قوله تعالى: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ}.. وقوله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ}..[1].

ثانياً: إن ما جرى للنبي آدم من هبوط، إنما هو من آثار سعيه لنيل أعلى مقامات الرضا والكرامة الإلهية، وأن يكون مع الأنوار التي رآها عند العرش، ولم يكن يعلم أنه عاجز عن الوصول إليها، وأن لسعيه هذا آثاراً طبيعية، وقد حصلت له فعلاً، وهذا نظير من يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فإن من

(1) الآية 33 من سورة آل عمران.

الطبيعي أن تتورم قدماه، وأن تصبح له ثفنات من أثر السجود، وغير ذلك..

كما أن من يسافر إلى الحج مشياً على الأقدام، فمن الطبيعي أن يأخذ منه التعب أي مأخذ، وأن تتشقق قدماه.. ولا يعني ذلك أنه مخطئ فيما فعل، بل هو مطيع لله تعالى، عابد له، يستحق المثوبة.

وحين ابتلي النبي آدم بآثار طاعته، كان الله هو الذي تولى إزالة تلك الآثار، وجمعه إليه على سبيل الاجتباء، ورفع درجته، وشرَّفه، وكرَّمه، وأعلى مقامه..

ثالثاً: إن قوله تعالى: {وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}.. إنما هو إعلام لهما بحقيقة ما جرى لهما، وأن سببه هو الأكل من تلك الشجرة، إذ ليس ثمة ما يدل النبي آدم على أن الأكل من الشجرة كان هو السبب فيما عرض لهما من حالات

الجوع، والعري، والحر، والبرد، وغير ذلك مما يعرض لأهل الدنيا..

ولعل الحوة أخذتهما بعد أن كان لديهما وعد إلهي يقول: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ} .. كما أنه قد قال للنبي آدم: {اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} .. فلماذا يخرجهما منها؟.. ولماذا يحصل لهما جوع، وعري؟! و.. و..؟!

فأراد الله تعالى أن يعرِّفهما: أن الأكل من الشجرة هو الذي جعلهما غير قادرين على البقاء في الجنة تكويناً، وأن ما يجري عليهما من جوع، وعري، وحر، وبرد.. إنما هو نتيجة أكلهما منها.

فكلام الله تعالى لهما: ليس عتاباً، بل هو تطمين إلى أن الله لا يزال معهما يرعاهما، ويلطف بهما، وأن ما جرى لهما لم يوجب بعدهما عنه، بل هو قد أوجب قربهما منه، ولذلك اجتباهما، وجمعهما إليه على سبيل الاصطفاء..

جنس الشجرة أم شخصها؟

وقد يقال: إنه لو كان النبي آدم عليه السلام لا يعرف: هل أن متعلق النهي هو شخص الشجرة؟ أم جنسها؟!، فكيف صح احتجاج الله عليه وعتابه له بقوله: {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ} ؟!.. فإن هذا يدل على أن الشجرة كانت معروفة ومشخصة لهما بجميع صفاتها وخصوصياتها..

ونقول:

إن الجواب قد اتضح مما ذكرناه آنفاً، وهو:

أن هذا ليس احتجاجاً ولا عتاباً، ولا لوماً، بل هو بيان لأمر قد أبهم على النبي آدم وحواء عليهما السلام، وراد به تعريفهما بحقيقة ما جرى لهما وبأسبابه، وأن ما جرى لا يعني أن الله قد تخلى عن وعوده لهما، أو أنه عاتب عليهما، أو أنهما قد أبعدا عن مقامهما، وأهبطا إلى الأرض على سبيل العقوبة، بل إن ما جرى إنما هو نتيجة طبيعية للسعي الذي بذله النبي آدم للحصول على مرضاة الله، وقد كان يجب عليه أن يسعى، ليكون مستحقاً لمقام النبوة والخلافة في أرض الله تعالى، ولكن هناك آثار لا بد له من مواجهتها، وتحملها، والصبر عليها..

لماذا لا يحتاط النبي آدم (عليه السلام):

ويبقى سؤال، وهو: أنه إذا كان النبي آدم أمام احتمالين:

أحدهما: أن يكون المنهي عنه هو شخص الشجرة..

الثاني: أن يكون المنهي عنه هو سنخها.

فقد كان عليه أن يحتاط، ويتحفظ، لا أن يبادر إلى مخالفة النهي الإلهي..

ونقول في الجواب:

إن الاحتياط ها هنا خلاف الاحتياط، لأن النهي عن الشجرة إنما جاء بواسطة الإشارة الحسية إلى شجرة بعينها، مع وجود مثيلات لها، بالإضافة إلى القَسَمَ الذي واجه النبي آدم، ونقل عهدة أي خطأ ليصبح في ساحة القدس الإلهية، ليكون تعالى هو المتولي، وهو الضامن، والكافل..

هذا بالإضافة إلى مارآه من إرتباط لتلك الشجرة بموجودات شريفة، وعالية، يذكو لديه الطموح للوصول إلى منازلها، كما أشارت إليه الروايات..

فالنبي آدم قد عمل بما يفرضه عليه إيمانه، وجلال وعظمة الله في قلبه وإجلاله لأسماء الله الحسنى الواردة في القسم، وما يفرضه عليه الأخذ بالحجج والوسائل البيانية المتوفرة لديه. وهذا ما يدعو إلى أن ينيله الله المزيد من الرحمة، والمحبة، وأن يصطفيه ويجتبيه إليه..

وليس في كلام إبليس ما يتناقض مع مفاد ذلك النهي بحسب الظاهر، الذي لا بد للنبي آدم من التعامل على أساسه، بل إن إبليس قد أكد له مفاده، وذكَّره به، وإنما خاطب النبي آدم عليه السلام بما هو خارج دائرة النهي، وهو خصوصية في هذا النوع من الشجرة، وهي أن أكله منها سوف يوصله إلى أنوار آل محمد التي شاهدها حول العرش، وعرَّفه أن الوصول إلى ذلك، دونه مشقات ومتاعب لم يرد الله أن يكلفه بها على سبيل الحتم والجزم..

وقد جاءت المقاسمة لتمثل التجاء الطرفين إلى الله، لجعل الأمر في ضمانته وكفالته سبحانه وتعالى، ليتولى هو قصاص من يكذب، أو يغش.

وكان لا بد للنبي آدم أن يسعى لنيل تلك المقامات لشدة تعلقه بالله ومحبته له، ولم يكن النبي آدم عليه السلام مكلفاً بالواقع، بل بما تؤدي إليه الوسائل والدلالات الظاهرية.. كما أنه لم يكن يعلم أنه غير قادر على الوصول إلى تلك المواقع العالية لهم عليهم السلام..

ولكن الله قد خاطب النبي آدم بحسب علمه تعالى بواقع الأمور، فعبَّر بالغواية التي هي ضد الرشد، وعبرَّ بالمعصية التي هي مجرد عدم مطابقة الفعل لصورة الأمر..

الفصل السابع:

هبات وعوائد إلـهيـة..

الإنتظار المر:

والذي يثير الانتباه جيداً هنا:

أن الله سبحانه حين ابتلي آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة، وظهرت عليه عوارض البشرية، التي لا تتناسب مع الحياة في تلك الجنة..

أصبحت اللحظات الحرجة تمر عليه ببطء شديد، وتثاقل مرهق وقاس، ويتعاظم لديه الشعور بالضيق، وأصبح يتلهف للخروج مما هو فيه بأية صورة، وأصبح يحس باللحظات التي تمر، وكأن كل لحظة دهراً.. وصح التعبير من أجل ذلك بكلمة [ثُمَّ]، الدالة على التراخي، في قوله: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ}..

الجائزة الكبرى للناجحين:

نعم، في هذه اللحظات بالذات شملته الرحمة الإلهية العارمة، حتى قبل أن يتفوه عليه السلام بأي كلمة. كما هو ظاهر السياق القرآني. وحباه جل وعلا بوسام الشرف والاستحقاق، وأعطاه جائزة سنية قبل أن يهبطه إلى الأرض، حين أناله مقام الاجتباء الإلهي.. المتمثل بعوده عليه بالألطاف والرحمات، والمواهب الجليلة. فقد قال تعالى:

{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}..

والجائزة إنما تعطى للناجح المميَّز الذي أنجز عملاً مرضياً، وخطوا، ولا تعطى لمن عصى وتمرد، أو لمن فشل وسقط في امتحان الجدارة..

وذلك كله يشير إلى: أن لهذا العصيان الذي ذكر في الآية الكريمة: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}.. معنى لا يتضارب مع إعطاء الجائزة على نفس هذا العصيان بالذات، وكانت الجائزة هي الاجتباء، والاصطفاء الإلهي له عليه السلام..

معنى الاجتباء:

والاجتباء كما قاله الراغب هو:

[الجمع على طريق الاصطفاء]..

وقال أيضاً: [اجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي، ليتحصل منه أنواع من النعم، بلا سعي من العبد. وذلك للأنبياء، وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء].. [1].

وليتأمل المتأمل هنا كيف جاء التعبير في الآية المباركة بكلمة [اجْتَبَاهُ]؛ وكأنها تريد أن تلمح إلى ما كان يعاني منه آدم عليه السلام من تمزع مضنٍ، وانتشار وامتداد من موقع الحاجة والعجز، والضعف، في مختلف جهات حياته، فأصبح يجوع، ويعرى، ويمرض، ويعاني من الحر والبرد، ويضعف ويقوى، و.. و..

وأصبح بحاجة إلى من يساعده على جمع ذلك الشتات، ولملمة ذلك الانتشار، وسد هاتيكم الثغرات، وتقوية ضعفه، ورفع عجزه بما يناسب ذلك

(1) المفردات في غريب القرآن ص87 و88.

كله، وبما يتطلبه من تهيئة حاجات ومرافق، وما يفرضه من هدايات ودلالات.

كما أن بعض الأعلام قد ألمح إلى أن المراد: أن الله قد اجتبى آدم عليه السلام، أي جمعه إليه سبحانه [1] وسلك به إلى نفسه، لا يشاركه فيه غيره، بما أعطاه من هدايات تيسّر له ذلك، من حيث أنه تعالى هو الرحيم بعباده، العائد عليهم بألطافه وعناياته..

وخلاصة القول:

إن النبي آدم عليه السلام قد بادر إلى التضحية الحسية والواقعية بكل ما لديه في سبيل الوصول إلى مقامات جليلة وعظيمة عند الله، وقد ظهرت آثار هذه التضحية في البلاء الذي واجهه..

وبذلك يكون قد أثبت خلوصه، وكونه صفوة الله، فاستحق أن يجمعه الله إليه، وأن يصطفيه لنفسه، وأن يمنحه وسام الإجتباء لنجاحه في الإمتحان.. الذي لا ينجح فيه إلا صفوة الخلق..

فما صنعه الله له، ليس مجرد معونة لمن احتاج إلى المعونة، بل الموضوع موضوع مكافأة، وإعلان لمقام الاجتباء الرفيع، الذي يحتاج إلى أسباب كامنة في ذات الشخص المجتبى..

النبي آدم (عليه السلام) يتلقى الكلمات:

وقد حدثنا الله سبحانه: أنه سبحانه في غمرة هذا الحدث، وبعد الهبوط مباشرة، قد أعطى عبده آدم عليه السلام، كلمات تعقبتها التوبة عليه مباشرة، قال تعالى: {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}..

(1) تفسير الميزان ج14 ص 223.

ولبيان ذلك نقول:

إن هذه الآية قد ألمحت إلى الأمور التالية:

1. دلالات قوله تعالى {فَتَلَقَّىٰ}:

إن الله سبحانه لم يترك آدم عليه السلام يواجه المصاعب وحده، بل أمده مباشرة وبدون إمهال بأسباب الخلاص مما هو فيه. وكان آدم عليه السلام ينتظر هذه الأسباب، ويهيء نفسه لها. كما تشير إليه كلمة {فَتَلَقَّىٰ}. التي جاءت بفاء التفريع، التي تفيد التعقيب من دون مهلة.

كما أنه لم يقل: فألقى إليه كلمات، بل قال: {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ}.. لأن التعبير بالتلقي يؤكد على هذا الانتظار من قبل النبي آدم عليه السلام لتلك الكلمات، مع استعداد وتهيؤ لاستقبالها، بما يليق بها ويناسبها، من وعي، وسمو روحي، وعرفان، لأنها كلمات شريفة وعالية، لا بد أن تتوفر فيه القابلية لنيلها، والوصول إليها، وإدراك ما يمكنه إدراكه، من حقائقها وحالاتها..

ويكون نفس وصولها إليه، وحلولها في قلبه ووعيه، وروحه، سبباً في رفع مشكلاته، وقضاء حوائجه، لأنه يصبح مستحقاً لذلك بنفس هذا النيل لتلك الكلمات..

فالتلقي إذن ملازم لفهم تلك الأسماء الدالة على حقائق تلك الموجودات الشريفة، والأسماء التي تشير إلى أصل وجودها، وتساعد على رسم صورة لها في وعيه..

ولأجل ذلك نقول: إنه إذا قال القائل: تلقيت فلاناً، فمعنى ذلك: أنه قد استعد وتهيأ، ليلاقيه بما يناسب حاله ومقامه..

2. التلقي للكلمات كان: {مِن رَّبِّهِ}..

ويلاحظ: أن هذه الكلمات قد تلقاها آدم عليه السلام من موقع الربوبية التي توحي بالرعاية والتنشئة الحريصة على مصلحته، والمهتمة بحفظه. على وفق الحكمة، والتدبير الصحيح، وتحت رعاية عين العلم الثاقبة والنافذة إلى الأعماق، والمحيطة بأسوار كل هذا الوجود، ومن هنا نجده تعالى يقول: {مِن رَّبِّهِ}.. ولم يقل من الله..

ولا بد أن تكون الكلمات المذكورة كلمات عظيمة، كما ربما تلمح إليه كلمة التلقي.

وكما يشير إليه تنوين التنكير الذي جيء به . في ما يظهر . لإفادة التعظيم.

بالإضافة إلى كونها آتية إليه من جانب العزة الإلهية، والفيض الربوبي، الذي ينتظره، وهو في أمس الحاجة إليه، بعد أن حدث له ما حدث..

3 . عظمة الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام):

ثم جاءت التوبة عليه بعد تلقيه تلك الكلمات مباشرة، كما ألمح إليه التعبير بالفاء في قوله: **{فَتَابَ عليهِ}**، مما يعني أن هذا التلقي الكريم لتلك الكلمات، ووضعها في موقعها اللائق بها، وإدراك النبي آدم لمعانيها قد نتج عنه أن أصبح النبي آدم مؤهلاً للتوبة عليه، ولتلقي الرحمات الإلهية..

ولعل هذا التلقي للكلمات هو الذي نتج عنه الإجتباء، أو هو نفسه الإجتباء، أو ملازم له.. فإن الآية قد جعلت توبة الله على النبي آدم نتيجة للإجتباء تارة، ولتلقي الكلمات أخرى.. مما يعني أنهما أمران متلازمان على أقل تقدير، فإن الإجتباء مستلزم لرفع مستوى النبي آدم، وتقريبه إليه سبحانه، وجمعه شتاته، واصطفائه، وهذا ملازم لمزيد من الرقي في الوعي والرسوخ

في الإيمان، وغير ذلك له عليه السلام..

ووعي تلك الكلمات هو الذي يجسد ذلك الرقي الذي ينتج عنه عودة الله سبحانه على آدم عليه السلام بلطفه وعونه ورعايته، ولهذا فإن الله لم يقل: دعا آدم ربه، فتاب عليه، بل قال: إن نفس تلقي النبي آدم للكلمات استتبع عود الله عليه..

الكلمات ليست مجرد قراءة دعاء:

وإن عظمة هذه الكلمات، ثم تفريع التوبة على تلقيها يشير إلى أن دورها في حياة آدم عليه السلام، من حيث كونها "كلمات"، تدخل في دائرة التلفظ المستتبع للتوبة.

وذلك يشير إلى أنها كانت مادة أساسية ومحورية في دعائه عليه السلام.. فهي إذن ليست مجرد قراءة دعاء، حتى لو كان هذا الدعاء هو:

[لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، وأنت خير الغافرين.

لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فارحمني، وأنت خير الراحمين.

لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم] [(1)].

لا، ليس المقصود بها خصوص هذا الدعاء، بل هي كلمات أخرى تحتاج إلى تعليم..

(1) الكافي وتفسير الميزان ج1 ص147 و148 عنه وعن الصدوق والعياشي والقمي وغيرهم.

وهي كلمات لها شرف ومقام كريم عند الله، تحتاج إلى استعداد وتهيؤ لاستقبالها ولتلقيها.

أما مجرد التجاء المحتاج والمنكوب إلى الله سبحانه، والاعتراف أمامه بالقصور، وبالتقصير، وطلب العون، والستر، والمغفرة منه، كما تضمنته فقرات هذا الدعاء، فلا يحتاج إلى التعليم الإلهي، إذ إن ذلك هو ما تسوق إليه طبيعة الإنسان العارف بالله، الواقف أمام جلاله وعظمته، المدرك لمدى عجزه في مقابل قدرته تعالى، وضعفه مقابل قوته تعالى، وفقره وحاجته أمام غناه وكرمه سبحانه..

فليس هذا الدعاء إلا ذلك الخطاب المألوف، والواقعي، والطبيعي جداً، ولا يحتاج إلى تعليم. وليس هو بالأمر المغفول عنه، بل ينساق إليه المحتاج إلى الله في مواقع الشدة، خصوصاً من هو مثل النبي آدم عليه السلام، في معرفته بالله سبحانه، بفطرته وسجيته..

وذلك كله يجعلنا لا نقتنع بقول من يقول: إن الكلمات هي خصوص هذا الدعاء، بل لا بد أن يكون معه أيضاً . أو بالاستقلال عنه، ما هو أعظم وأهم وهي . أسماء أهل البيت عليهم السلام، وهم محمد، وعلي، وفاطمة، والحسنان صلوات الله عليهم أجمعين، ليكونوا شفعاءه ووسيلته، كما دلت عليه الروايات الشريفة، فراجع [1].

وهذه الأسماء هي التي كان الله قد علمه إياها، في وقت سابق وذلك حينما أمر الملائكة بالسجود له، وأراد تعالى أن يظهر لهم عظمة آدم، وأنه لابد أن يوصل الكون إلى كماله من خلال معرفة خاصة تتناسب مع حقيقة تلك الموجودات العالية..

---

(1) المصدر السابق.

وليس للملائكة مثل هذه القدرات . نعم لقد علمه الله هذه الأسماء . ثم عرضهم على الملائكة، ورأى أنوارهم وشاهد مقاماتهم، وعرف أنهم هم الشفعاء الكرماء، الذين لا بد أن ينتظر مساعدتهم، فتهيأ واستعد لاستقبال الكلمات الدالة على عظيم شأنهم من ربه تبارك وتعالى..

4 . العلامة الطباطبائي (رحمه الله)، يؤيد ويؤكد:

هذا.. وقد ذكر العلامة الطباطبائي (قده) هنا، ما يؤيد ويؤكد على ما نقول. وهو أن الملائكة قالوا: **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}**.. [1].

فهذا يعني: أنه تعالى قد أقام الحجة على الملائكة بتعليمه لآدم عليه السلام هذه الأسماء، مما يعني أنها أسماء من شأنها حل كل المشكلات، وإزالة كل آثار الظلم والمعاصي، ودواء كل داء، وإصلاح كل فاسد، فأسكتهم بذلك، وأقام الحجة عليهم.

وذلك معناه: أنها أسماء موجودات عالية، لا يتم كمال المستكمل إلا ببركاتها، وهي كما دلت عليه الأخبار أسماء أهل البيت (عليهم السلام).

أما قول بعضهم إن الكلمات هي قول آدم عليه السلام:

{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}..

فقد رده العلامة الطباطبائي (قده):

أولاً: بأن آيات سورة البقرة قد دلت على أن التوبة وقعت بعد الهبوط إلى الأرض. وهذه الكلمات قد صدرت من آدم عليه السلام قبل الهبوط كما

(1) الآيتان 30 و31 من سورة البقرة.

في سورة الأعراف.

ثانياً: بل الظاهر هو أن قوله: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} .. تذلل وخضوع قبال ندائه تعالى، وليس دعاء بالكلمات المتلقات [1].

ثم ذكر أخيراً.. أنه تعالى حين يعود إلى آدم عليه السلام ليستنقذه بلطفه، ويمده بعونه، ويقوي ضعفه، ويرفع عجزه، فإنما يفعل ذلك من حيث هو تواب كثير العودة إلى عباده، لمساعدتهم، وسد الخلل الذي يعانون منه، وإن عودته هذه إليهم إنما هي من موقع رحيميته بهم، التي يحتاجونها، لتقوي ضعفهم، ولتسدّ الخلل، وترفع النقص..

(1) راجع: تفسير المنير ج1 ص148 و149 وراجع ص133 و134.

الفصل الثامن:

آثار.. ونتائج

ذاقا.. أكلا.. أزلهما عنها:

واللافت: أن الآيات الكريمة قد عبرت تارة بـ {ذَاقَا} .. وأخرى عبَّرت بـ {أَكَلَا مِنْهَا}.. وثالثة بـ {أَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا}.

وواضح: أن ثمة عناية خاصة في إبراز بعض الخصوصيات من خلال هذا التنوع في التعابير.

فهو حين يقول: {ذَاقَا} .. فإنه يكون قد بين أن الأكل لم يكن مجرد إيصال جزء من تلك الشجرة إلى جوف آكليه، فإن ذلك

قد لا يكون هو المؤثر في سقوط الحجاب، وظهور السوءات. بل المؤثر هو التفاعل مع حقيقتها، والإحساس بخصوصيتها، من خلال تذوق طعمها..

ولذلك جاء التعبير ليعطي أن ما حصل كان اختراقاً، وخروجاً، وتجاوزاً للحدود المرتبطة بالشأن التكويني {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا}. وقوله: {فَأَزَلَّهُمَا} .. يشير إلى الاستزال والجوي، وفق السجية، واعتماداً على ظاهر الحال..

وإذا كانت هذه الحدود هي حدود التكوين، فإن اختراقها وتجاوزها سوف يترك أثره التكويني، من خلال حتمية الخضوع لنواميس الخلق والتكوين، التي أودعها الله في الخلق والخليقة، رحمة منه تعالى بها، ووفق مقتضيات التدبير والحكمة البالغة.

وحين قال: {أَكَلَا مِنْهَا} .. فإنما أراد أن يحدد الطريقة التي حصل بها

ذلك التفاعل مع حقيقة الشجرة، وأن الأكل كان هو سبب ظهور السوءات، وعوارض البشرية عليهما.. فهو يريد التأكيد على الارتباط المباشر بين هذين الأمرين..

وأما التعبير بـ: {أَزَلَّهُمَا} .. فإنه يريد أن يحدد لنا نتائجه الكلية المناسبة لطبيعة التعبير بالعنوان العام الذي هو الاستزال، والاعتماد على ظاهر الحال، وأنه ينتج الخروج مما كانا فيه، والانتقال إلى موقع آخر، ليواجها حالاته وعوارضه..

السوءات؟!

والآيات الكريمة تكاد تكون صريحة في أن السوءات التي بدت، قد كانت مستورة عن آدم وزوجه عليهما السلام، لا أنها لم تكن ثم كانت..

وهذا يشير إلى أن المراد بالسوءات في الآيات ليس هو العورة بمعناها المعروف.. إذ لا شك في أن آدم عليه السلام كان يعرف أن له عورة، وكان يحس بها، ويعرف أنه رجل، ويعرف أن زوجه أنثى، ويعرف الفرق بين الرجل والأنثى، ويدرك معنى الزوجية بينهما.

ولكن جاء التعبير بالسوءات التي كانت كامنة، وغير بادية للكناية عن تلك الأحوال الصعبة التي من شأنها إذا ظهرت من كمونها، أن تدخل الخلل إلى حياته، وتوصل المساءة إليه، ويحصل له بسببها الشقاء الذي أشار تعالى إليه بقوله: {فَتَشْقَى}.. ثم كأنه فسره بقوله بعده: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى}.

وقد عبر عن هذه السوءات بصيغة الجمع، لا بصيغة الإفراد والتثنية، ربما ليشير بذلك إلى كثرتها وتنوعها.

كما أنه قد أضاف كلمة [لَهُمَا] فقال: بدت لهما، ليتأكد أن المراد

بالسوءات ليس هو العورة، لأن ظهور عورتيهما لهما مما لا ضير فيه، إذ الإنسان يشعر بعورة نفسه، ويراها. ولا ضير أيضاً في أن تبدو له عورة زوجه أيضاً..

يطفق يخصف عليهما من ورق الجنة:

وقد كانت تلك الأحوال الصعبة التي عبر الله عنها بالسوءات على درجة من الخفاء والكمون، إلى حد أن آدم وزوجه عليهما السلام لم يكونا يريانها، لأنها كانت مواراةً أي مستورة عنهما بساتر وحجاب.

وتمثلت مشكلة آدم وزوجه عليهما السلام في أوجها وعنفوانها في أن إبليس قد استطاع أن ينزع عنهما لباسهما، ليريهما سوءاتهما.. وكان زوال هذا الستر قد حصل بفعل أنهما قد ذاقا الشجرة. مما يعني أن التفاعل الجسدي الناشئ عن هذا الأكل.. هو الذي أسقط ذلك الساتر عن السوءات..

وقد حاولا أن يستفيدا من سواتر الجنة، فلم تنفعهما بشيء {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} .. ولَمْ يَكُنْ يمكنهم الاكتفاء بها، فإن الأمر يحتاج إلى سواتر من سنخ آخر، فكان لا بد لهما . من الناحية التكوينية . من الخروج إلى عالم جديد، يجدان فيه ما يسد الخلل، ويواري السوءات.

نعم لقد كان على آدم عليه السلام أن يعيد سائر الأحوال التي ظهرت عليه إلى ما كانت عليه من الكمون والخفاء . وقد أشارت بعض الروايات إلى ذلك، وإلى أن لباس الجنة لم يعد صالحاً لهما، وإلى أنهما قد اضطرا إلى حرث الدنيا ومطعمها، حيث قالت:

[.. وسقط عنهما ما البسهما الله من الجنة، وأقبلا يستران من ورق

الجنة] [1].

وفي نص آخر:

[بدت لنا عوراتنا، واضطررنا إلى حرث الدنيا ومطعمها] [2] ..

فالجوع يحتاج إلى سترة بالشبع، والعري باللباس، والمرض بالدواء، والخوف بما يوفر الأمن، وهكذا بالنسبة إلى سائر الأحوال التي لا بد من إعادتها إلى حالة الكمون والخفاء..

مناقشة كلام الطباطبائي (قده):

نعم.. وهذا هو الأوفق بالسياق القرآني، ولأجل ذلك فنحن لا نرتضي ما ذكره العلامة الطباطبائي (قده) في تفسيره؛ حيث يقول:

[.. وآدم عليه السلام وزوجته، وإن كانا قد سواهما الله تعالى تسوية أرضية بشرية، ثم أدخلهما الجنة لم يمكثا بعد التسوية، ولم يمهلا كثيراً، ليتم في الدنيا إراكهما لسوءاتهما، ولا لغيرها من لوازم الحياة الدنيا، واحتياجاتها حتى أدخلهما الله الجنة.

وأنه إنما أدخلهما الله الجنة حين أدخلهما، ولما ينفصلا، ولما ينقطع إراكهما عن عالم الروح والملائكة.

والدليل على ذلك قوله: {لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا} ، ولم يقل: ما كان ووري عنهما، وهو مشعر بأن مواراة السوأة ما كانت ممكنة في الحياة الدنيا استدامة، وإنما تمشت دفعة ما، واستعقب ذلك بإسكان الجنة، فإظهار

(1) تفسير الميزان ج1 ص139 عن تفسير القمي..

(2) تفسير الوهان ج1 ص84 والبحار ج11 ص183 عن تفسير العياشي.

السوءات كان مقضياً محتوماً في الحياة الأرضية، ومع أكل الشجرة الخ..] [1].

وقد ذكرنا فيما تقدم ما يشير إلى عدم إمكان قبول هذا السياق التفسيري من العلامة الطباطبائي رحمه الله.

ونضيف إلى ما قدمناه ما يلي:

أولاً: إنه لا دليل على ما ذكره (رحمه الله) من أن آدم عليه السلام وزوجه لم يمكثا بعد التسوية، ولم يمهلا كثيراً..

ثانياً: قوله: إنهما لم يمهلا كثيراً ليتركا في الدنيا سوآتهما غير مقبول، إذ إنه لا دليل على أنهما لم يتركا في جنة الدنيا سوءاتهما، كما لم يتركا غيرها من لوازم الحياة الدنيا.. وأن عدم الإدراك هذا قد استمر إلى أن دخلا الجنة.

ثالثاً: قوله: إنهما حين أدخلهما الله الجنة لما ينفصلا، ولما ينقطع إدراكهما عن عالم الروح والملائكة.

غير ظاهر المراد..

فإنه إذا كان [قد سواهما الله تعالى تسوية أرضية بشرية] على حد تعبيره، فما هو الدليل على أن إدراكهما كان متصلاً بعالم الروح والملائكة..

رابعاً: سلمنا اتصال إدراكهما بعالم الروح والملائكة، لكن كيف يثبت أن هذا الاتصال بقي مستمراً إلى حين دخولهما الجنة؟!..

خامساً: إنه حين خاطبهما بأن الأكل من الشجرة يستلزم الشقاء، ووعدهما بعدم الجوع، والعري، والظمأ، والضحى. هل فهما أقواله هذه؟ أم لم يفهماها؟. فإن كانا قد فهماها، وعرفا معانيها، فإنه يكون قد عرفهما بوجود عري، وجوع، وظمأ، ونحوها.. ووجود ما يستر العري، ويشبع الجوع، ويروي

(1) تفسير الميزان ج1 ص127.

الظمأ، ويقي من حر الشمس في الضحى..

سادساً: قوله: إن مواراة السوأة ما كانت ممكنة في الحياة الدنيا استدامة، وإنما تمشت دفعة ما، ثم أعقب ذلك سكناه الجنة..

لا مجال لتأكيده، فإنه إذا أمكن ستر السوأة مقداراً ما فإنه يمكن ستوها مقداراً أطول.. خصوصاً إذا لم يأكلا من الشجرة..

فإن إظهارها مشروط بذلك، فإذا أمكن أن يعيش في الحياة الدنيا من دون أن يأكل من الشجرة التي تظهر كوامن وجوده، فإنه سيبقى مستوراً.

ناداهما.. تلكما:

ويلاحظ أيضاً: أنه سبحانه حين حدث لآدم عليه السلام ما حدث لم يقل: [قال لهما ربهما]، بل قال: {نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا}.

ولعل ذلك يشير إلى أن ثمة حالة من البعد قد حصلت لآدم عليه السلام، لأن النداء إنما يكون من بعيد، والخطاب يكون للقريب.

ولعل سبب ذلك هو أن نفس الأكل من الشجرة قد جعله في موقع آخر، ليس هو الموقع الذي يفترض أن يكون فيه، ولأجل ذلك فقد أصبح بعيداً عن الشجرة أيضاً، وتبدل الخطاب منه تعالى من: **{لاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}**.. وكلمة **{هَذِهِ}**.. تستعمل للقريب، إلى قوله: **{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}**.. و **{تِلْكُمَا}**.. تستعمل للبعيد، منسوباً إليه وإلى زوجه..

فهذا البعد قد كان هو الأثر الطبيعي التكويني لذلك الأكل. وقد حصل ذلك قبل أن تصدر عن الله سبحانه أية إشارة تحكي حالة الرضا على النبي آدم، أو حالة الغضب، أو تشير إلى الأسف لما أصابه، أو تلومه على ما صدر منه.

فلما حصل الاصطفاء، والاجتباء، عاد النبي آدم ليحتل أقرب مواقع

الرضا، واللطف الإلهي، كما أشرنا إليه أكثر من مرة..

هبوط إبليس:

وقد أهبط الله إبليس لعنه الله حتى من تلك الجنة التي في هذه الدنيا، عقوبة، وخزياً، وطرداً له من رحمة الله، وكان قد سبق ذلك هبوط آخر لإبليس من المقام الذي كان فيه مع الملائكة، سواء أكان ذلك الهبوط الأول، من جنة الخلد أو من مواقع القرب والزلفى في السماء حيث كان في مواقع الشرف مع الملائكة.. وهو ما عبر عنه بالخروج، المفيد للطرد المهين له في قول الله تعالى له: **{فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}**..[1].

وحتى لو كان النبي آدم في جنة الخلد، فإن هبوط إبليس معناه: أنه وإن كان قد طرد من الجنة . أولاً حين لم يسجد لآدم عليه السلام . لكنه .ربما . كان قادراً على الدنو منها، بحيث يسمع صوت من بداخلها.. فيكون هبوطه هذا بسبب هذا الجرم الحادث الذي ارتكبه في حق آدم وزوجه عليهما السلام هو بمعنى حرمانه حتى من الدنو والاقتراب منها.

ومن الواضح: أن بشرية النبي آدم عليه السلام، قد فرضت بروز تلك الحالات الكامنة فيه، كالجوع والعطش والانفعال بالحر والبرد، والتعرض للآلام والأمراض، وما إلى ذلك. لمجرد أنه ذاق الشجرة..

أما إبليس لعنه الله، فإنه بحسب طبيعة تكوينه، لا تعرض له نفس هذه الحالات.

فكان هبوطه يمثل إبعاداً له عن ساحة الرحمة الإلهية، وحرماناً له من مقام الكرامة الربانية.

---

(1) الآيتان 34 و35 من سورة الحجر.

هبوط النبي آدم (عليه السلام) في الأحاديث الشريفة:

وقد صرحت الروايات الشريفة بأن هبوط النبي آدم عليه السلام، قد كان بمعنى الانتقال إلى عالم جديد يتناسب مع الحالة التي استجدت له.

فقد روي أنه عليه السلام قال مخاطباً ربه:

[.. وبدت لنا عوراتنا، واضطرنا ذنبنا إلى حرث الدنيا، ومطعمها، ومشربها] [1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

[أخرجه الله، لأنه خلق خلقة، لا يبقى إلا بالأمر والنهي، والغذاء واللباس] [2].

فانتقال آدم عليه السلام من الجنة يشبه انتقال الجنين من عالم الجنينية بالولادة إلى هذا العالم الجديد بالنسبة إليه، حيث لم يعد يمكنه العيش فيه لاحتياجه إلى أمور لا يتحملها عالمه الأول، ولا يستجيب، ولا يستطيع تلبيتها له.

بخلاف هبوط إبليس، فإنه طرد وإبعاد وعقوبة له..

اهبطا.. واهبطوا:

ويبقى هنا سؤال: وهو أنه تعالى قد قال في سورة طه الآية 123 : [اهْبِطَا] ولكنه في سورة الأعراف الآية 24 ، وفي سورة البقرة الآية 38 قال: [اهْبِطُوا] فما هو السبب في ذلك؟!..

(1) تفسير البرهان ج1 ص84 والبحار ج11 ص183 عن تفسير العياشي.

(2) تفسير القمي ج1 ص43 والبحار ج11 ص161 وتفسير البرهان ج1 ص80 وج2 ص6.

ونقول في الجواب:

إنه تارة يكون المقصود هو: إفهام كل واحد من المخاطبين أنه يتحمل المسؤولية بصورة مباشرة، وأن أي فرد آخر مهما كان موقعه، وأياً كانت طبيعة العلاقة معه، وخصوصية الصلة به، فإن ذلك ليس له أي تأثير في التخفيف من تبعات ما يقدم عليه.. ففي مثل هذه الحال، يحسن أن يوجه الخطاب لجميع الأفراد، ليشعر كل واحد منهم أنه مطالب ومؤاخذ ومسؤول.. وهذا هو ما تكفلت به آيات سورة البقرة، فيما يظهر..

وتارة يكون المقصود هو: الحديث مع فريقين لهما نهجان مختلفان، أحدهما سبيل هداية ونجاة، والآخر، سبيل ضلالة وهلاك.. فيأتي التعبير بصيغة المثنى: اهبطا، ليقرر: أن باب الخيار مفتوح أمام الأفراد أيضاً، للأخذ بهذا السبيل أو بذاك، فمن اتبع منهم طريق الهدى، فلا يضل ولا يشقى. وهذا هو ما ورد في سورة طه..

وتارة ثالثة: يراد الجمع بين كلا الحالتين، فمن جهة يراد الإلماح إلى أن الأفراد هم الذين يتحملون مسؤوليات أعمالهم أولاً،

فيؤمر كل فرد بالهبوط إلى موقعه المناسب له، ليكون فيه..

ثم يشار من جهة ثانية: إلى أن هؤلاء الهابطين فريقان، يعادي كل منهما الآخر..وإن كان فريق أهل الإيمان لا يعادي بعضهم بعضاً، بل هم إخوان على سرر متقابلين..

وربما يظهر ذلك: من ملاحظة سورة الأعراف الآية 24..

هدايتان:

وقد أشارت الآيات الشريفة إلى وجود هدايتين تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى..

أولاهما: هداية الله تعالى للنبي آدم عليه السلام قبل هبوطه، وقد أشير إليها بقوله تعالى: **{وَعَصَى آدمَ رَبَّهُ فَغَوَى * ثم اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}**..

الثانية: هدايته له تعالى بعد هبوطه، قال تعالى: **{قَالَ اهبِطَا مِنهَا جَمِيعاً بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوٌ فَإمّا يَأتِيَنَّكُم مِنّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلاَ يَشقَى}**..

فالهداية الأولى: تتمثل بمعارف، وآفاق يفتحها الله أمام أوليائه، وأنبيائه، على حد قوله: **{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}**..[1] . أو **{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرَى}**..[2] . أو: [علمني رسول الله ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب]..

ومنها تلقى النبي آدم عليه السلام، الكلمات من ربه، ومعرفته بحقائقها، ومقاماتها..

والهداية الثانية: هي الهداية التكوينية، والفطرية، والإلهامية، والتشريعية، والعقلية، التي يحتاج إليها الإنسان في مسيرته في الحياة الدنيا.. كما أشرنا إليه في كتاب [تفسير سورة هل أتى] في أكثر من موضع..

---

(1) الآية الأولى من سورة الإسراء.

(2) الآية 18 من سورة النجم.

الفصل التاسع:

العصيان.. والغواية..

والتوبة.. والمغفرة..

الصفحة 132

الصفحة 133

الغواية، ضد الرشد لا ضد الضلال:

ولربما أصبح واضحاً:

أولاً: أن غواية آدم عليه السلام ليست بمعنى الضلالة عن طريق الهدى، وإنما هي ضد الرشد، بمعنى أنه عليه السلام لم يصل إلى مطلوبه، الذي أراده وسعى إليه.. حيث إنه قد حاد ومال عن هدفه، وغوى عنه..

وبقي في وسط الطريق لأجل مانع، حال بينه وبين مواصلة طريقه، ومن كان كذلك، فإنه لا يكون ضالاً، لأن رعاية الله له واضحة، وسبيل الوصول أيضاً معروف المواصفات، لكن قد حصل مانع له من الوصول، أوجب عجزه عن تحقيق مراده، وخيبته فيما قصد إليه. وهذا هو المراد بكلمة: [غَوَى]..

ثانياً: لو كان المقصود بالغواية، الضلال.. للزم أن يقول: غوى آدم وضل، فعصى. لأن المعصية تنشأ من الضلال، ولا ينشأ الضلال عن المعصية..

العصيان ليس هو التمرد:

ثم إنه قد اتضح أيضاً: أن معنى العصيان في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدم رَبُه﴾.. ليس هو التمرد على الله، وكسر هيبته، وهتك حجاب عزته.. بل معناه عدم موافقة العمل المأتي به لظاهر كلامه سبحانه الذي جاء على شكل أمر أو نهي.

وبعبارة أخرى: مرة يلاحظ في الأمر حال الآمر وموقعه، وحرمته، وهيبته،

الصفحة 134

وسيادته، ومولويته، فيكون للاستسلام، والعبودية، والسيادة، والموقعية، الدور في الانبعاث، والتحرك لامتثال الأمر، فيقال: لمن لم يتحرك للامتثال: [عصى]، بمعنى تمرد على مولاه، وكسر هيبته، وذلك مثل الأوامر التعبدية، التي لا يعرف المكلف الوجه، ولا المصلحة فيها..

ومرة يكون الانبعاث ناشئاً عن الشعور بأمرين، هما: لزوم حفظ السيادة وإدراك وجود مصلحة في المطلوب..

ومرة لا يكون لحال الآمر أثر في الأمر، فلا يكون سيداً ولا مولى، بل يكون صديقاً، ومخالفة أمره لا توجب كسر مولويته، ولا هتك حرمته، بل هو يستجيب لأمره من موقع اللياقة والمجاملة..

ومرة رابعة يكون إدراك وجود المصلحة هو الداعي والمحرك، كأمر الطبيب للمريض، فالداعي للطاعة هو الإحساس بجدوى المأمور به في الشفاء، وهذا الداعي هو معنى داخل في مضمون متعلق الطلب..

وكذا لو أعطيت السائل الطالب، فإن الإعطاء ليس لأجل امتثال أمره، ولا لحفظ مولويته وسيادته، بل لأن العاطفة تحركت

في قلبك..

وإذا قال الببغاء: إفعل. فإن قوله لا يوجب أي تحريك..

فاختلاف الدواعي يوجب الاختلاف في العنوان الذي ينشأ عن المباشرة والامتناع، ولأجل ذلك فإن كلمة: [عَصَى]، يختلف معناها باختلاف هذه الحالات..

فمعصية الله غير معصية الطبيب والصديق، والسائل وغير ذلك. فمعصية الله في أوامره التعبدية معناه كسر هيبته، وهتك حرمته، والجرأة عليه، والتمرد على مولويته. أما معصيته في أوامره الإرشادية، أو الواردة في مقام التخيير، أو لأجل رفع الحظر، وكذلك معصية السائل، والطبيب، والصديق، فلا توجب ذلك..

فمثلاً، لو وصف لك طبيب دواء، لكن طبيباً آخر، قال لك: هذا الدواء يشفيك في شهر، وأنا أصف لك دواء يشفيك في ثلاثة أيام، ولكن بشرط أن تتحمل بعض المضاعفات التي تنشأ عنه، فأخذك بالدواء الذي وصفه الطبيب الثاني، لا يعني أنك عصيت الطبيب الأول، ولا يعني أنك هتكت حرمته، وخرقت هيبته، وليس هذا من العصيان القبيح، لأنك قصدت الحصول على الشفاء مع الأول، ومع الثاني، فأنت فعلت حسناً معهما معاً، ولم تسئ إلى أي منهما.. لكن الأول أراد أن يجنبك المضاعفات الصحية، وأنت اخترت تحملها، وأخذ الدواء الثاني..

فإذا ظهر أن الطبيب الثاني قد أخطأ، أو أنه كذب عليك، فإنه هو الذي يلام. ولا تلام أنت، ولا الطبيب الأول، رغم معصيتك لأمره، مع شدة احترامك وحبك له..

ويصح للطبيب الأول أن يقول لك: لقد عصيتني، فوقعت فيما وقعت فيه، لكنها ليست معصية بمعنى التمرد عليه، وهتك الحرمة.. كما قلنا.

ولأجل ذلك يبادر الطبيب الأول مرة أخرى إلى معالجة السلبيات التي لحقت بك، من موقع المحبة، واللطف، والعطف..

وعلى حد تعبير العلامة الطباطبائي (رحمه الله):

إن استعمال عصى في خصوص الأوامر المولوية إنما هو طريقة الشرع، وإلا فإن الإستعمال اللغوي لا يقتصر على ذلك، بل يراد به مطلق عدم الانفعال بالأمر والنهي، سواء أكان الأمر والنهي مولويين، أو إرشاديين، حيث لا يكون ثمة عنوان السيادة ملحوظاً في نشوء الأمر والنهي.. سواء أكان هناك سيادة بالفعل، كالإرشادات الإلهية التي تهدف إلى إلفات الناس إلى بعض المنافع أو المضار في بعض الموارد، أو لم تكن هناك سيادة ومولوية

وعبودية، كما في أوامر ونواهي الأطباء [1].

توبة آدم (عليه السلام):

وبعد، فإن الله تعالى، قد قال: إنه هو الذي تاب على النبي آدم، ولكنه لم يصرح بتوبة النبي آدم عليه السلام. وحتى لو

كانت هناك توبة من النبي آدم، فإن هذه التوبة لا تعني الإقلاع عن المعصية، عن ندم، وتصميم على عدم العود.

بل هي هنا بمعنى الالتجاء إلى الله سبحانه، القادر على مد يد العون، فإن المشكلات التي يواجهها قد أكدت حاجته إلى التسديد والرعاية الربانية.

فمن الطبيعي أن يعود النبي آدم عليه السلام إلى ربه الرحيم، وأن يخشع، ويخضع له، ويطلب منه، وهو الغني الكريم، والرؤوف الرحيم، أن يعود عليه بالإحسان، والفضل، والهداية.

فاستجاب الله سبحانه له، وأمده بالرزق، وبالنواء، وفتح له أبواب الرحمة والهداية إلى كل ما يفيد في سد الخلل، ورفع النقص، ودفع العجز.

وقد كان ذلك كله قبل أمر الله تعالى له بالهبوط، وأما لو كان المراد بالتوبة هو ما يقولونه، فلا معنى لعقوبة النبي آدم بإهباطه من الجنة، لأن الله قد صرح بأنه قد تاب عليه، وأنه قد أعطاه الهداية أيضاً.. قبل إهباطه، فإهباطه بعد أن تاب الله عليه، يعطينا أن المراد، بالتوبة هو ما قلناه.. وليس ما قالوه..

التوبة عند العلامة الطباطبائي (رحمه الله):

وقد استدل العلامة الطباطبائي (رحمه الله) على أن التوبة ليست عن ذنب بما ملخصه:

---

(1) راجع: تفسير الميزان ج1 ص 137 و 138.

أن التوبة هي الرجوع من العبد، فإذا تاب عليه مولاه، فإن الذنب يصبح كلا ذنب، فيتعامل معه، وكأن شيئاً لم يكن. مع أن آدم عليه السلام لم يرجع إلى الجنة، فما معنى القول بأن الله قد تاب عليه، وعادت الأمور إلى حالتها الأولى، وكأن شيئاً لم يكن؟!..

فذلك يدل على أن التوبة ليست عن معصية، وعلى أن الخروج من الجنة لم يكن عقوبة له، بل كان أمراً تكوينياً، كاستتباع السم للقتل، والنار للإحراق [1].

ونقول:

إن ذلك لا يكفي دليلاً، إذ قد يكون هناك توبة عن ذنب ما، ثم لا ترجع الأمور إلى حالها الأول، وذلك بسبب أن للمعصية نفسها آثاراً تكوينية، كشرب الخمر الذي يحدث قروحاً في المعدة، أو أمراضاً أخرى، فإن التوبة منه، وقبول هذه التوبة من الله إنما يعني مجرد رفع العقوبة، ولا يعني لزوم أن يشفيه الله سبحانه من تلك القروح أو الاختلالات، أو الأمراض التي نشأت عن شرب الخمر.

ولأجل ذلك نقول:

إن ما ذكرناه هو الأقرب إلى القبول..

المغفرة:

ولا بأس بأن يطلق على هذا الستر المطلوب من قبل النبي آدم وزوجه بإلحاح، وبحرص: أنه مغفرة، فالمغفرة، في عمق معناها، هي الستر..

ثم لا بأس بأن يتوجه النبي آدم عليه السلام بطلب تلك المغفرة، وذلك

(1) راجع: تفسير الميزان ج1 ص136.

الستر الشامل، إلى الله تعالى الغني القادر على كل شيء.

وإن من تجليات قدرته تعالى أن يسخر مخلوقاته كلها . كل بحسب ما يناسبه . في سبيل سد كل خلل، ورفع كل نقص، وأن يساعد آدم على إنجاز هذا المهم الذي سوافقه ووافق ذريته إلى أن تقوم الساعة. وهذه المساعدة على انجاز هذا المهم على أتم وجه.. إنما تأتي من منطلق حبه له، ورحمته تعالى به: **{تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا}**..

ومن أهم مفردات هذه المعونة، الهداية الإلهية المنسجمة مع كل نواميس الكون وسننه التي أودعها سبحانه فيه، وهو الأعلم بدقائق صنعه، وهو بديع السموات والأرض. الرحمن الرحيم، ولأجل ذلك نجد الله تعالى يقول: **{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}**..

الفصل العاشر:

الحسد والمحسودون في الروايات

روايات تحتاج إلى إيضاح:

وتبقى أمام القارئ الكريم روايات تحتاج إلى إيضاح، هي التالية:

1 .روي عن الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: الشجرة التي نهى آدم وزوجته أن يأكلا منها، شجرة الحسد. عهد إليهما: أن لا ينظرا إلى من فضّله الله عليه، وعلى خلايقه بعين الحسد، ولم يجد له عزماً[(1)] .

2 . عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، في حديث طويل، قال: فلما أسكن الله عز وجل آدم وزوجته الجنة قال لهما: **{ كُلا مِنهْا رَغَدا حَيثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هَذهَ الشَّجَرَة . يَعنِي شجَّرة الحَنطة . فتكونا من الظالمينَ}**..

فنظرا إلى منزلة محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة عليهم السلام بعدهم، فوجداها أشرف منازل أهل الجنة، فقالا: ربنا لمن هذه المنزلة؟!

فقال الله جل جلاله: إرفعا رؤوسكما إلى ساق العرش.

فرفعا رؤوسهما، فوجدا أسماء محمد، وعلي، وفاطمة، والأئمة عليهم السلام مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الله الجبار جل جلاله، فقالا:

(1) نور الثقلين (تفسير) ج3 ص402 عن العياشي والبرهان (تفسير) ج2 ص6.

يا ربنا، ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبهم إليك، وما أشرفهم لديك!!

فقال الله جل جلاله: لولاهم ما خلقتكما. هؤلاء خزنة علمي، وأمنائي على سري، إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد، وتمنيا منزلتهم عندي، ومحلهم من كرامتي، فتدخلان بذلك في نهيي وعصياني، فتكونا من الظالمين..

قالا: ربنا ومن الظالمون؟!

قال: المدعون لمنزلتهم بغير حق..

إلى أن قال:

يا آدم ويا حواء، لا تنظرا إلى أنواري وحججي بعين الحسد، فأهبطكما عن جواري، وأحل بكما هواني، **{فَوَسوْسَ لهمَا الشَّيْطَانُ ليبدِيَ لِهمَا مَا وُورِيَ عنهما}**.. إلى قوله: **{فَدَلاهَّمُا بَغرُورٍ}** ..وحملهما على تمني منزلتهم، فنظرا إليهم بعين الحسد، فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة الخ..[(1)] .

3 . عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام، يا ابن رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي: أنها الحنطة. ومنهم من يروي أنها العنب، ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد؟.

فقال عليه السلام: كل ذلك حق.

فقلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟!

(1) نور الثقلين ج2 ص12 وراجع ج1 ص67 و68 عن معاني الأخبار والبرهان (تفسير) ج1 ص82 و83.

فقال عليه السلام: يا أبا الصلت، إن شجرة الجنة تحمل أنواعا. وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب، وليست كشجرة الدنيا.

وإن آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له، وبإدخاله الجنة قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟

فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه فناداه: ارفع رأسك يا آدم، وانظر إلى ساق عرشي..

فرفع آدم رأسه، فنظر إلى ساق العرش، فوجد مكتوباً:

لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين. الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟

فقال عز وجل: هؤلاء من ذريتك، وهم خير منك، ومن جميع خلقي. ولولاهم ما خلقتك، ولا خلقت الجنة والنار، ولا السماء ولا الأرض، فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد، وتمنى منزلتهم.

فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها، فسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله تعالى من جنته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض [1].

4 وروى الكليني، بإسناده إلى الزهرى، محمد بن شهاب قال: سئل الإمام السجاد عليه السلام: أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟

فقال عليه السلام: ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل، ومعرفة رسول

(1) نور الثقلين (تفسير) ج1 ص60 عن عيون أخبار الرضا والبرهان (تفسير) ج1 ص83 و84.

الله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا.

وإن لذلك لشعباً كثيرة. وللمعاصي شعباً. فأول ما عصي الله به الكبر. وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر، وكان من الكافرين. ثم الحرص، وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما: **{كُلاَ مِنهُ رَغداً حَيثُ شِئتُمَا وَلاَ تَقرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}**.. الخ.. [1].

وقفات مع الروايات:

ويواجهنا في الروايات المتقدمة مشكلتان، لا بد من حلهما ليمكن الالتزام بمضمونها، وهاتان المشكلتان هما:

1. آدم من الظالمين.
2. كون آدم حاسداً.

فلا بد لنا من النظر في هذين الأمرين، لأن ذلك يفيد في فهم ما ترمي إليه الآيات الكريمة التي تحدثت عن قضية آدم، فنقول:

آدم (عليه السلام) من الظالمين:

لقدوصف آدم عليه السلام في الرواية الثانية بأنه من الظالمين..

ومن الواضح: أن الله سبحانه وتعالى قد قال في آية أخرى: **{لاَ ينَالُ عهدَيْ اِلظالمينَّ}**..[(2)] .

فالآية تفيد أن أي عهد إلهي، سواء أكان عهد نبوة أو عهد إمامة لا يناله الظالمون..

---

(1) نور الثقلين (تفسير) ج1 ص60 عن أصول الكافي والبرهان (تفسير) ج1 ص81.

(2) الآية 124 من سورة البقرة.

ولأجل ذلك قال: لا ينال عهدي، ولم يقل: لا ينال الإمامة، فإذا كان آدم ظالماً كما ورد في الرواية، فكيف نال عهد النبوة؟ وكان عنده خمسة وعشرون حرفاً من اسم الله الأعظم؟!..

إن ذلك يدل على أن المراد بالظلم هو ظلم النفس، بمعنى محاولة حمل أمور كبيرة عليها، يصعب حملها في العادة.

وقد تقدم: أن هذا الأمر العظيم الذي يدعوه لتحمل المشاق هو أمر يتناسب مع أهدافه كنبي يسعى إلى نيل رضا الله سبحانه، والحصول على درجات القرب منه تعالى.

فالمراد بالظلم إذن هو هذا المعنى، وهو أن يحمّل نفسه المشاق، وليس المراد الظلم للآخرين، المتضمن للتعدي على حرمات الله سبحانه..

الحسد لأهل البيت (عليهم السلام):

وقد اتضح مما قدمناه أيضاً:

أن آدم عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام قد كان منسجماً مع نفسه، ومع أهدافه السامية . وهذا هو ما يفترض فيه . حين سعى إلى نيل مقامات القرب من الله تعالى، وآثر تحمل أعباء هذا السعي.

وهو قد سعى إلى نيل مقام معنوي أوحدي منحصر بأهله، لا يمكن لأحد أن يصل إليه حتى الأنبياء..

وواضح: أن السعي إلى نيل مقامهم ملازم لإزالة صفة الإختصاص بهم عنهم، لتحل محلها صفة المشاركة، بل إن ذلك ملازم لأن تحل محلها صفة أدنى منها. لأن الرئيس مثلاً إذا أزيل عن مقام الرئاسة ليحل محله رئيس آخر، فإن ذلك معناه زوال صفة الرئاسة عنه، وإن كان لا يزال في مستوى عظيم من الإحترام..

وهذا يشبه في بعض وجوهه تمني زوال الصفة أو النعمة عن المحسود، وانتقالها إلى الحاسد على وجه الاختصاص به..

وهذا ما أشارت إليه الروايات المتقدمة، من أنه عليه السلام قد تمنى مقام أهل البيت لنفسه، فإنه وإن لم يكن قاصداً لسلب نعمة ذلك المقام عنهم، ولا طالباً له، ولكن يلزمه سلب اختصاص ذلك المقام بهم. فهو قد قصد ما يلزم منه . لو حصل عليه .

زوال إحدى الصفات عنهم صلوات الله عليهم، وهي صفة الاختصاص والتفرد لهم.. وإن لم يكن ملتفتاً إلى ذلك، وذلك رغبة منه في الحصول على كل ما يقدر على الوصول إليه من مقامات القرب والرضا.

وهذا نظير ما لو كان هناك موقع جميل على رأس جبل، يحاول إنسان أن يصل إليه ويكون فيه، مع عدم التفاته إلى أن حلوله فيه يستلزم إزالة غيره عنه. فهو لم يتمن زوال النعمة عن شخص، ليكون ذلك حسداً محرماً، بل تمنى الوصول إلى المقام الأوحدي العظيم، من دون التفات إلى أن أحداً قد بلغ إلى هذا المقام، واحتل تلك المنزلة..

وهذا ما يفسر لنا التعبير بالحرص الوارد في الرواية المتقدمة المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد صرحت بأن الحرص من آدم عليه السلام كان هو السبب فيما جرى لآدم وزوجته صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وآله..

وخلاصة القول:

إن النبي آدم عليه السلام قد رأى موجودات عالية بلغت مقامات عظيمة من القرب، والكرامة الإلهية، فتمنى أن يكون معهم، وبدأ يسعى في هذا السبيل، ولكنه لم يكن يملك ما يمكنه من تحقيق أهدافه..

وقد كان تمنيه وسعيه هذا، يشبه الحسد، من حيث إن هذا المقام منحصر بتلك الموجودات، فتمني الكون معهم معناه أن لا يكون ذلك الموقع منحصراً بهم، لأن الحسد القبيح هو تمني زوال النعمة عن الشخص حتى لو لم تصل تلك النعمة إلى المتمني..

ولكن هناك مرتبة من الحسد ليست قبيحة، وهي ما لو تمنى أمراً لنفسه، ولم يتمنَّ زواله عن أحد، لكن قد يلزم من تمنيه هذا زوال صفة التفرد والإنحصار بالغير، وهذا كما لو كان إنسان في قرية، يحمل شهادة الدكتوراه، فهذا امتياز له وليس لأحد سواه، فإذا تمنى أحد أن يصبح مثله، فإن ذلك يزيل صفة التفرد عنه، وهي صفة لها قيمتها بنظر الناس، وإن لم يلتفت هو إلى ذلك، فأصبح هذا التمني بمثابة الحسد من جهة، وهو غبطة من جهة أخرى..

والنبي آدم عليه السلام كان يريد مقامات الزلفى عند الله، ولذلك طلب صفة الملائكية، والتخلص من الشهوات والغرائز، وطلب الخلود في طاعة الله، وطلب الملك الذي ييسر له مختلف أنواع القربات، لقد طلب الصفاء، والخلوص, بأقصى الدرجات، وأفضل الحالات، وآثر أن يتحمل أعظم المصائب، من أجل التخلص من الدنيا، ومن أجل الوصول إلى أشرف الغايات وأسماها، وأعزها وأغلاها..

الحسد المنهي عنه:

وقد نهى الله النبي آدم عن الحسد، ولكن لا شك في أن هذا النهي منصرف إلى المراتب القبيحة منه، وهي تمني زوال النعمة عن الآخرين، ولم يخطر في باله إلا أن التمني لمقام تلك الأنوار هو أمر سائغ، بل واجب، لأنه يعبر عن حبه لله تعالى، وسعيه في رضاه، ولم يتمن زوال صفة الأوحدية

والتفرد عنهم [1]، ولعله لم يلتفت إلى أن صفة الأوحدية هذه ثابتة لهم عليهم السلام من الأساس، ولعل هذا هو مراد الإمام الرضا عليه السلام حين قال:

[إن آدم لم يأكل، ولم يقرب نفس الشجرة، وإنما أكل من جنسها]..

فلما بذل المحاولة تبين له الأمر على حقيقته، وحصلت له الآثار التكوينية، التي لا مجال للتخلص منها، فهو كما لو شرب إنسان دواء مسهِّلاً، وهو لا يعلم، فإنه لا بد أن يترك أثره عليه، وجهله بحقيقته لا يجعله في مأمن من حصول ذلك الأثر.

فالنهي الإلهي نهي عن تحمل المشقات والمتاعب، التي كان الله يعلم أنها ستنتهي به إلى هذه النتيجة، وهو نهي إرفاقي، ناشئ عن العلم بأمور خافية على النبي آدم، وعن العلم الواقعي بعدم تمكن النبي آدم من الوصول إلى ما يطمح إليه..

ولكن مبادرة النبي آدم وسعيه يكشف عن خلوص جوهره، وصفاء عنصره، وعن حسنه الفاعلي، وإن لم يستطع في مقام الفعل أن يحقق ما ينويه، وأن يصل إلى ما يطمح إليه..

وقد قلنا: إن النبي آدم كان عارفاً بالله، شاكاً في مقولة إبليس، رغم وجود مؤيدات لصحة ما يدعّيه، وهو ما يشاهده النبي آدم من ارتباط لتلك الشجرة المنهي عنها بتلك الأنوار العالية ومن كون المنهي عنه شخص شجرة بعينها،

(1) وهذا هو المقصود بقوله (عليه السلام): [وإياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد، وتمنيا (أي ان تتمنيا) منزلتهم عندي]، فإن المراد الذي فهماه، بحسب الظاهر: هو النهي عم التمني المؤدي إلى زوالهم (عليهم السلام) عن منزلتهم، وحلولهما هما في تلك المنزلة. ولكن حين لا يكون الأمر كذلك، فإن التمني للوصول إلى ما وصلوا إليه يصير عين الكمال، وغاية في الحسن..

بحسب دلالة اسم الإشارة، وبما يشير إليه وجود مثيلات لها، إذ لو لم يكن المقصود هو شخص المشار إليه، فلماذا كانت الإشارة الحسية، مع وجود نظائر لتلك الشجرة هناك؟!..

وحين أكل من الشجرة، فإن خطاب الله سبحانه له عليه السلام، قد جاء وفق علمه تعالى بالواقع..

فالنبي آدم مخالف لصورة النهي، ويسمى هذا عصياناً، وهو أيضاً قد فعل خلاف الرشد الذي هو مقابل [الغي]، (أي ما لا يوصله إلى مطلوبه بحسب علمه تعالى)، وهذا ما يصحح خطابه بقوله: **{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}**.. ويصحح قوله: **{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**..

وهذا الخطاب منه تعالى، خطاب محبة وحنان، ورأفة، ورحمة، وليس خطاب انتقاص، وغضب وإبعاد، لأن الله يعلم حقيقة نوايا النبي آدم، وأن ما جرى له إنما هو أمر تكويني لا خيار له فيه، وليس نتيجة غضب، ولا هو عقوبة إلهية..

ولذلك اصطفاه الله، واجتباه، وتاب عليه، وهداه..

وقد اعترف النبي آدم بأنه قد حمَّل نفسه ما لا تطيق، **{قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا}**.. وعرف أن ما أراد أن يصل إليه هو مما يشبه الحسد، أو هو من جنسه، وإن لم يكن حسداً قبيحاً، ولكنه وإن لم يكن آثماً بارتكابه، بسبب عدم القصد له، لعدم علمه بأسرار الواقع، وبحقائق تلك الأنوار، وبمقاماتها الأوحدية، ولكن لا ضير في أن يذكّره الله تعالى بأن نهيه له عن الأكل من الشجرة كان سببه هو هذه الأمور التي انكشفت للنبي آدم بعد هذه المتاعب والمصائب..

ولعل ما ورد في الرواية الأخرى من التعبير بالحرص، قد أوضح المقصود، وهو أن النبي آدم عليه السلام قد دفعه حرصه على الوصول إلى ذلك المقام العظيم، إلى بذل محاولات للوصول إليه، رغم أنه لم يكن يملك الاستعداد الكافي له من حيث ملكاته، وإمكاناته. ولم يكن يريد أن تزول أية نعمة عن غيره، وإن كان لازم سعيه هذا . لو نجح . زوال تفوقهم واختصاصهم عليهم السلام بها..

فقوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} .. يريد به: أنكما لن تصلا إليها، وسوف تفشلان في محاولاتكما، لأنكما لستما في مستوى أولئك الصفوة، وهم النبي وأهل بيته، وسينكشف ضعفكما وقصوركما..

فالحسد الذي تحدثت عنه الروايات ليس رذيلة، بل هو فضيلة للنبي آدم عليه السلام، لأنه يعبر عن مدى حرصه على منزل الكرامة الإلهية، ولم يكن عليه السلام يقصد إزالة غيره عن ذلك المقام. وإن كان وصوله إليه يزيل صفة الانحصار بهم، وهي ميزة وكرامة لهم..

فالنبي آدم عليه السلام قاصد لمقام الرضا الإلهي، لا لأجل الحلول في مقام وموقع الغضب الإلهي، وقد نال النبي آدم بحرصه هذا وبتضحياته تلك، مقام الإجتباء الإلهي..

السؤال ما قبل الأخير:

وبعد.. فإن هناك من يقول: لو كان الاستدلال بالآيات على صدور الذنب متعسراً، بل متعذراً، ولم يكن الأكل من الشجرة خلاف الأولى، لكان ينبغي على الله تعالى أن يأمر النبي آدم بالأكل من الشجرة، لا أن ينهاه عنها..

وإن كان إبليس قد حقق طموحات النبي آدم الإلهية، حينما أطاعه وخالف نهي الله، لوجب أن يستحق إبليس كل تقدير، وليس الطرد والإبعاد!!

ونقول في الجواب:

أولاً: إن إبليس كان يسعى لإيقاع النبي آدم عليه السلام في المشكلة، ولم يكن يدري أنه سيكون لذلك نتيجة يتمنى أن لا تكون، بل هي تأتي في سياق معاكس لما يسعى لوضع آدم فيه..

وكأن هذا نظير ما جرى لفرعون، فإنه جاء بالسحرة، ليتغلب بهم على النبي موسى عليه السلام، فكانت النتيجة هي إيمان السحرة، وخيبة فرعون فيما خطط له.

ثانياً: إن الله يعلم: أن النبي آدم لا يملك القوات التي تمكنه من نيل مقامات أهل البيت عليهم السلام، وقد أمره بما يعلم أنه قادر عليه، لكنه لم يمنعه من أن يفكر ويسعى لتلك المقامات، ليثبت بذلك حسنه الفاعلي.. أي أنه تعالى قد أمره بما يطيق، وبين له الحد الذي يطيقه، وهو أن لا يصل إلى تلك الشجرة، وبين له أيضاً: أن التفكير في تلك الشجرة معناه: أن يحمل نفسه أموراً صعبة، ويتعرض لمشاق هائلة.. ولم يمنعه منها منعاً مولوياً تترتب عليه العقوبة، بل نهاه نهياً إشفاقياً، ولو كان يعلم منه

القوة على الوصول لكان أمره له أمر جزم وحتم، ولم يعذره بالتخلف عن تلك الغاية، فالمانع من الأمر هو علم الله بعجز النبي آدم..

ولكن على النبي آدم أن يظهر شدة حرصه على نيل تلك المقامات، وأن يعرض نفسه لأعظم البلاءات، لينال بذلك الجائزة الكبرى، وهو مقام الإجتباء والاصطفاء.. ولم يتمن النبي آدم زوال النعمة عن أحد، ليكون قد مارس الحسد المذموم..

فاتضح: أن الله تعالى إنما لم يأمر النبي آدم لآجل عدم توفر القوة على الامتثال.. وكان على النبي آدم أن يسعى لنيل ذلك المقام، ولا منافاة بين الأمرين..

آخر سؤال:

وقد يقال: إن كل هذا التعب، إنما هو بسبب الإجمال في البيان الإلهي، فلماذا لم ينصب الله تعالى للنبي آدم قرينة تدله على مراده، ليجنبه الوقوع في هذا الذي وقع فيه؟!..

وإذا لم ينصب له قرينة على مراده، فلماذا لم يعمل النبي آدم بالاحتياط الذي هو سبيل النجاة؟!..

ويمكن أن يجاب عن ذلك:

أولاً: إن الإجمال قد يكون مقصوداً، إذ ربما يكون الهدف الإلهي هو إبراز استحقاق آدم لمقام النبوة والخلافة في الأرض، وهو ما كان موضع ترديد لدى الملائكة، حيث اعتقدوا: أنهم وحدهم هم القادرون على إيصال هذا الكون إلى كماله **{قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}**[1]..

فأراد الله سبحانه أن يكون النهي الإلهي لآدم عليه السلام، وارداً في سياق الإمتحان والإختبار له صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وآله.. لكي يظهر الله سبحانه - بصورة عملية - للملأ الأعلى أهلية آدم لما أهله تبارك وتعالى له، إذ في مثل هذه المواقع تتجلّى طموحات وأهداف آدم السامية وتظهر ملكاته، وخصائصه الإيمانية بأبهى صورة، وأصدق وأتم تعبير..

ولا تبقى مجرد توقعات، أو أخبار يستند القبول والتصديق بها إلى الإيمان بالغيب، وتكون هي مجرد سبيل للتعبد والإنقياد..

ثانياً: إن الإجمال في البيان قد يكون هدفاً بذاته، من حيث إنه يسهم

(1) الآية 30 من سورة البقرة.

بصورة قوية في إثارة أجواء فكرية، وفي طرح تساؤلات، وقضايا تتوفر بذلك المبررات لطرحها، والتداول والتفكير فيها..

فيكون هذا الموقف بالنسبة لآدم ولجميع البشر، من موارد الإغواء بالعلم لا بالجهل، كما هو ظاهر..

ولأجل ذلك اعتمدت البيانات القرآنية لكثير من القضايا هذا النهج بالذات، خصوصاً القضايا الإعتقادية.

وهذا المورد بالذات بما تضمنه من تعابير، وإشارات وإلماحات مثيرة، هو أحد أهم الشواهد على ما نقول..

ثالثاً: لقد قلنا أكثر من مرة: إنه قد كانت هناك قرائن على إرادة نوع الشجرة، لا شخصها وهي:

1. نفس ملاحظة عدم وجود فرق بين تلك الشجرة، وما سواها مما هو من نفس جنسها..
2. الإشارة الحسية لشجرة بعينها، فإن هذا وذاك، يجعل البيان كافياً في حد نفسه، وافياً بالحاجة، مزيلاً للجهل المنهي عنه في مرحلة الظاهر الذي هو الحجة الإلهية، والمعيار في المثوبة والمؤاخذة..
3. ثم جاء القسم ليزيد من اليقين، وليصل بالأمر إلى حد الحتم والجزم..

ولكن لا يجب في البيان إزالة الاحتمالات العقلية، واقتلاعها من جذورها، بل قد لا يكون ذلك صحيحاً في بعض الأحيان،

فإن الله تعالى قد جعل الشجرة غاية لما يمكن أن يكون في وسع النبي آدم أن يقوم به..

ثم يأتي إبليس، فيعمل على تحريض النبي آدم على الاندفاع باتجاه أمور لم يكن له القدرة على تحملها،ولا طاقة له بها، مستعيناً على استبعاد تلك القرينة، التي تحدد طاقة النبي آدم، و تنهيها بالشجرة فقط، فيزيل هذا

التحديد، ويبطل أثره، بالاعتماد على ما قام به من مقاسمة آدم: أنه له من الناصحين..

ومن الواضح: أنه لا يجب على المتكلم والآمر والناهي أكثر من إلقاء الكلام إلى المتلقي بما له من ظواهر، ولو بواسطة القرائن..

ولا يجب عليه حفظ تلك القرائن من أن تمتد إليها أيدي العابثين والمبطلين، بل يجب على المبطلين أنفسهم أن أن لا يفعلوا ذلك، حتى إذا ما فعلوه استحقوا العقاب بسبب تعديهم على الحدود..

وبذلك يتضح: أنه ليس المورد من قبيل الخطاب بالمجمل، كما أنه ليس من موارد العمل بالاحتياط، وفقاً لما شرحناه من لزوم تصدي النبي آدم لهذا الأمر..

كلمة أخيرة

وفي الختام.. نقول:

إننا لا نريد أن نطلب من القارىء الكريم أن يعلن أنه قد انتهى إلى درجة اليقين بأن ما ذكرناه هو صريح الآيات المباركة، الذي لا محيص عنه..

فإن القرائن، والدلائل، والشواهد المتضافرة، تأخذ بأيدي بعضها البعض، لتعطي ظهوراً قوياً للآيات فيما نقول..

وقد ظهر أن ذلك هو ما ينسجم مع المفاهيم والقواعد العقلية، ومع الثوابت واليقينيات من مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، الذين هم صفوة الخلق وسفينة نوح، التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى..

ولكننا نريد من القارئ الكريم أمرين:

أحدهما:

أن يكون لديه اليقين كل اليقين بعصمة الأنبياء عن كل خطل وزلل، قبل بعثتهم، وبعدها.. حتى لو لم يتمكن من اكتشاف التأويل الصحيح لهذه الآية ومثيلاتها.. فليرد علمها إلى الراسخين في العلم صلوات الله عليهم..

وذلك لأن هذه العصمة ثابتة بالدلالة العقلية القاطعة التي لا مجال لأي شبهة فيها.

الثاني:

أن يفسح المجال لاعتبار ما ذكرناه في تفسير الآيات الشريفة، التي تحكي لنا قصة آدم عليه السلام، أمراً محتملاً وقريباً جداً في معنى الآيات.. وأن الجزم واليقين بخلافه، متعسر، بل متعذر، إلى الحد الذي يجعل الاستدلال بالآيات المذكورة على صدور الذنب.. بل حتى على صدور خلاف الأولى من النبي آدم عليه السلام، حتى قبل تشريع الشرائع أمراً غير مقبول، وبعيداً عن الإنصاف العلمي. ليس فقط لفقده المبررات المعقولة والمقبولة، بل لوجود موانع كثيرة في نفس هذه الآيات، التي رأينا بوضوح كيف أنها. فضلاً عن الروايات. تبطل تصريحاً، وتلويحاً في كثير من فصولها وتعابيرها أي استنتاج من هذا القبيل، وتبعده عن دائرة الصحة، أو احتمالها..

ولكن قبولنا الافتراضي هذا، ليس معناه القبول باحتمال صدور المعصية من النبي آدم عليه السلام.

بل هو يعني. فقط. لزوم الاعتراف بالعجز عن فهم المعنى العميق، والمغزى الدقيق للآيات المباركات، وأن على الإنسان العاقل في مثل هذه الحالة أن يرجع علمها إلى أهلها؛ فإنما يعرف القرآن من خوطب به.

أما احتمال صدور المعصية فعلاً، بل صدور خلاف الأولى منه عليه السلام مع التفاته إلى أولوية المتروك، فقد قلنا: إنه أمر مرفوض جملة وتفصيلاً، وذلك لوجود المانع العقلي، واليقيني الجازم بعدمه. ولضرورة الاعتقاد الجازم والأكيد بنزاهة الأنبياء والأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) عن كل معصية، ونقص، وإخلال.

وليكن هذا البحث المقتضب هو إحدى الخطوات في الاتجاه الصحيح في فهم آيات القرآن الكريم، وإدراك مراميها، وتلمّس دقائقها ومعانيها.

ومن الله نستمد القوة والعون، ونطلب منه الهداية والرشاد، والتوفيق والسداد، إنه ولي كل نعمة، وقاضي كل حاجة، ومنتهى كل رغبة.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

15 جمادى الأول 1422هـ

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً)، جبل عامل

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

المصادر والمراجع

1 . القرآن الكريم.

2 . الاختصاص، للشيخ المفيد، منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران.

3 . أمالي الشيخ الصدوق، ط سنة 1389 هـ، الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

4 . أمالي المفيد، للشيخ المفيد، منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران.

5 . البحار، للعلامة المجلسي، ط قديمة، وط بيروت، لبنان 6 . البرهان (تفسير) للبحراني، ط آفتاب، طهران. وط المطبعة العلمية سنة 1393 هـ. ق. إيران.

7 . بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، ط المكتبة الحيدرية، سنة 1383 هـ. ق، النجف الأشرف، العراق 8 . بصائر الدرجات لابن فروخ الصفار، ط سنة 1381هـ.

9 . تفسير الإمام العسكري، ط قديمة في النجف الأشرف، والطبعة الجديدة سنة 1409 هـ. ق مطبعة مهر، قم، إيران.

10 . تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم بن هاشم، ط سنة 1387 هـ ق بيروت، لبنان.

11 . تفسير المنير.

12 . تنبيه الخواطر (المعروف بمجموعة ورام) لورام بن أبي فراس المالكي الأشتري، ط دار التعارف، ودار صعب، بيروت، لبنان.

13 . الثاقب في المناقب، لابن حمزة الطوسي، ط الثانية 1412 مؤسسة أنصاريان، قم، إيران.

14 . حلية الأبرار، لهاشم البحراني، ط مؤسسة إسماعيليان، وط دار المعارف الإسلامية، قم، إيران.

15 . الخرائج والجرائح، للراوندي، ط مصطفوي، وطبعة أخرى جديدة، قم، إيران.

16 .رجال الكشي، للكشي، ط مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، إيران.

17 . سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، ط مؤسسة إنتشارات فراهاني، إيران. و ط سنة 1414هـ.

18 . الصراط المستقيم، للبياضي العاملي، ط سنة 1384 هـ، مطبعة الحيدري.

19 . علل الشرايع، للصدوق، ط دار الأعلمي، بيروت، لبنان.

20 . عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، ط سنة 1377 هـ.ق قم، إيران.

21 . عيون المعجزات، للحسين بن عبدالوهاب.

22 . الكافي (الأصول) للكليني، المطبعة الإسلامية، ط سنة 1388 هـ، و (الفروع) مطبعة الحيدري، ط سنة 1377 هـ، طهران، إيران.

23 . المجدي في أنساب الطالبيين، للحمري، ط سنة 1409 هـ. ق. مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، إيران.

24 . المحاسن، للبرقي، ط سنة 1370 هـ. ق طرنكين، طهران، إيران.
25 . مدينة المعاجز، للبحراني، ط حجرية.
26 . مرآة العقول، للمجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
27 . المسائل السروية، للمفيد، ط المؤتمر العالمي الألفي للشيخ المفيد، إيران.
28 . مستدرك الوسائل، للمحدث النوري، ط سنة 1342 هـ، إيران.
29 . مشارق أنوار اليقين، للشيخ رجب البرسي، ط النجف الأشرف، العراق.
30 . معاني الأخبار، للصدوق، ط سنة 1361 هـ. ش. منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران.
31 . المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط سنة 1381 هـ. ق. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
32 . مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب المازندراني، المطبعة العلمية، قم، إيران.
33 . الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي، الأعلمي، طبع سنة 1394 هـ، بيروت، لبنان.
34 . نور الثقلين (تفسير) لابن جمعة الحويزي، مطبعة الحكمة، قم، إيران.

كتب مطبوعة للمؤلف

1 . الآداب الطبية في الإسلام.
2 . ابن عباس وأموال البصرة.
3 . ابن عربي سنيٌ متعصب.
4 . إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم.
5 . الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل.
6 . أكذوبتان حول الشريف الرضي.
7 . أفلا تذكرون [حوارات في الدين والعقيدة].
8 . أهل البيت (عليهم السلام) في آية التطهير (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة).
9 . واءة آدم (عليه السلام) حقيقة قرآنية (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة).
10 . بنات النبي (صلى الله عليه وآله) أم ربائبه (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة).
11 . بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان.
12 . تفسير سورة الفاتحة.

13 . تفسير سورة الكوثر.

14 . تفسير سورة الماعون.

15 . تفسير سورة الناس.

16 . تفسير سورة [هل أتى] 1/2.

17 . حديث الإفك.

18 . حقائق هامة حول القرآن الكريم.

19 . الحياة السياسية للإمام الجواد (عليه السلام).

20 . الحياة السياسية للإمام الحسن (عليه السلام).

21 . الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام).

22 . خلفيات كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام) 1/6.

23 . دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام 1/4.

24 . دراسة في علامات الظهور والجزيرة الخضراء.

25 . دراسة في علامات الظهور.

26 . زواج المتعة (تحقيق ودراسة) 1/3.

27 . الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة).

28 . سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

29 . سنابل المجد (قصيدة إلى روح الإمام الخميني «رحمه الله»).

30 . السوق في ظل الدولة الإسلامية.

31 . الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة.

32 . الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) 1/12.

33 . صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد (رحمه الله).

34 . ظاهرة القارونية من أين وإلى أين؟

35 . ظلامة أم كلثوم.

36 . علي (عليه السلام) والخوارج 1/2.

37 . الغدير والمعارضون (الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة).

38 . القول الصائب في إثبات الوبائب.

39 . كربلاء فوق الشبهات (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة).

40 . لست بفوق أن أخطئ من كلام علي (عليه السلام).

41 . لماذا كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام).

42 . مأساة الزهراء (عليها السلام) شبهات وردود 1/2.

43 . ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!

44 . مختصر مفيد.. 1/6.

45 . مراسم عاشوراء [شبهات وردود] (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة).

46 . المدخل لدراسة السيرة النبوية المباركة.

47 . المسجد الأقصى أين؟

48 . مقالات ودراسات.

49 . منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية.

50 . المواسم والمراسم.

51 . موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام.

52 . موقف علي (عليه السلام) في الحديبية.

53 . نقش الخواتيم لدى الأئمة (عليهم السلام).

54 . الولاية التشريعية.